٣٧

مَجَالِسُ تَفْسِيرِ

سُورَةِ الزُّمَرِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدُّكتُورِ

مُحَمَّد مَهْدِي بْن مُحَمَّد جَمِيل النُّورِسْتَانِي

حَفِظَهُ اللهُ

الشَّيْخُ لَمْ يُرَاجِعِ التَّفْرِيغَ

النُّسْخَةُ الأُولَى

مَجَالِسُ تَفْسِيرِ

سُورَةِ الزُّمَرِ

٣٧

مجالس تفسير

سورة الزمر

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني

حفظه الله

الشيخ لم يراجع التفريغ

النسخة الأولى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقدمة المشرفين على التفريغ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن من نعم الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن جعل فيها علماء ربانيين وأئمة في الدين، ورثوا من علم النبوة على قدر ما قسم الله لهم من ذلك الميراث العظيم الذي لا يعادله شيء من متاع الدنيا الفاني.

ومن رحمة الله بعباده: أنه كلما اشتدت حاجتهم إلى أمر من الأمور كلما يسر الله سبل تحصيله، ونوع لهم الطرائق الموصلة إلى نيله وبلوغه، ولما كان العلم أعظم ما يحتاجه العباد وليس لهم عنه غنى طرفة عين، ولا سيما علم العقيدة والتوحيد الذي هو أشرف العلوم وأزكاها، وأجلها قدرًا وأسناها،

والذي قد زادت الحاجة إليه في هذه الأزمنة المتأخرة، بسبب انتشار الأهواء والبدع، وكثرة المخالفين للتوحيد والمعتقد، والمجانبين للسنة والأثر.

يهيئ السبل للانتفاع به، وتداوله بيسر وسهولة من قبل الدارسين والمتعلمين، بل والأساتذة والمدرسين في أحيان كثيرة.

ومن هنا جاءت فكرة المساهمة في تفريغ دروس فضيلة الشيخ الدكتور محمد محمدي بن محمد جميل النورستاني حفظه الله تعالى.

وقد يسر الله تعالى الخطوة الأولى لهذه المرحلة وهي إنشاء قناة للشيخ علي الشبكة، وكذا إنشاء حساب لدروسه في اليوتيوب، والتليجرام، كل ذلك حرصًا على الحفاظ على ما تيسر الحصول عليه من مجالس ودروس فضيلة الشيخ حفظه الله تعالى، وكان الذي فات منها وضاع إن لم يفق الموجود كثرة فلا يقل عنه عددًا، وعزاؤنا فيه أن الله يعلمه، وأن الملائكة كتبته، ونسأل الله عز وجل أن يتقبل ذلك من الشيخ وأن يجعله في موازين حسناته، ومن تلك الكتب التي لم نقف على تسجيلاتها:

- خلق أفعال العباد للبخاري.
- الرد على الجهمية للدرامي.
- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد، للدرامي.
- القاعدة المراكشية.

وغيرها كثير[١].

وجاءت المرحلة الثانية هذه، وهي سلسلة التفريغات الصوتية للدروس العلمية للشيخ محمد محمدي النورستاني حفظه الله تعالى، وستكون شاملة لجميع دروسه المسجلة، وهي على الترتيب التالي:

---

(١) ونجد هذا الموضع فرصة لحث الإخوة من طلاب الشيخ ممن قد تبلغهم هذه التفريغات، ممن حضروا للشيخ مجالس في السابق وسجلوا شيئًا منها أن يتواصلوا معنا، فحفظهم لعلم الشيخ أقل ما يجب للشيخ علينا وعليهم، وهو من بر التلاميذ بمعلميهم والذي لا يقل أهمية عن بر الأبناء بآبائهم متى اقترن بالنية الصالحة.

١- الأصول الثلاثة (الشرح الأول ٨ مجالسًا).

٢- الأصول الثلاثة (الشرح الثاني ١١ مجلسًا).

٣- الأصول الثلاثة (الشرح الثالث ١٧ مجلسًا).

٤- القواعد الأربع (الشرح الأول مجلس واحدًا).

٥- القواعد الأربع (الشرح الثاني مجلسان).

٦- القواعد الأربع (الشرح الثالث مجلسان).

٧- نواقض الإسلام.

٨- كشف الشبهات.

٩- كتاب التوحيد (ولا زال مستمرًّا).

١٠- العقيدة الواسطية (الشرح الأول).

١١- العقيدة الواسطية (الشرح الثاني).

١٢- العقيدة الواسطية (الشرح الثالث).

١٣- لمعة الاعتقاد.

١٤- العقيدة الطحاوية (أربعون مجلسًا).

١٥- القصيدة الحائية لابن أبي داود (ثلاث مجالس).

١٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.

١٧- الفتوى الحموية (٢٣ مجلسًا).

١٨- الجواب على الاعتراضات المصرية.

١٩- العقيدة التدمرية (الشرح الأول).

٢٠ - **العقيدة التدمرية** (الشرح الثاني، ولا زال مستمرًّا).

٢١- نقض المنطق "الانتصار لأهل الأثر"، لابن تيمية (٢٣ مجلسًا).

٢٢- الإبانة الصغرى "الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة" لابن بطة (٣٨ مجلسًا).

٢٣- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم. (ولا زال مستمرًّا).

٢٤ - **شرح ابن أبي العز الحنفي على الطحاوية** (ولا زال مستمرًّا).

٢٥ - **شرح القصيدة النونية "الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" لابن القيم الجوزية** (ولا زال مستمرًّا).

٢٦ - **شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية** (لم يكتمل).

٢٧- رسالة القضاء والقدر لابن عثيمين (مجلسان).

٢٨- رسالة قاعدة حسنة في الباقيات الصالحات، لابن تيمية.

٢٩- رسالة الأفعال الاختيارية من العباد لابن تيمية.

٣٠- فصل في الكلام على الاتحادية، لابن تيمية.

٣١- مسألة في حياة الخضر وادعاء لقائه، لابن تيمية.

٣٢- فصل في معنى الحي القيوم، لابن تيمية.

٣٣ - **الإخنائية، لابن تيمية** (ولا زال مستمرًّا).

٣٤- محاضرات في العقيدة والتوحيد.

٣٥- مجالس تفسير سورة العنكبوت.

٣٦- مجالس تفسير سورة الأحزاب.

٣٧- مجالس تفسير سورة الزمر.

٣٨- المنظومة البيقونية (٤ مجالس).

٣٩- نزهة النظر (الشرح الأول ١٦ مجلسًا).

٤٠- نزهة النظر (الشرح الثاني، لازال مستمرًا).

٤١- المداخل إلى كتب السنة.

٤٢- التعليق على كتاب المدخل إلى صحيح البخاري (٥ مجالس).

٤٣- عقيدة الرازيين.

٤٤- صريح السنة للطبري.

٤٥- السنة للمزني.

٤٦- الأصول الستة.

٤٧ - **سلسلة الحوار العلمي عن علم الكلام (لازال مستمرًا).**

٤٨ - **الصفات المعنوية.**

٤٩ - **قضية التفويض.**

وننبه هنا إلى أن هذه التفريغات معينة ومساعدة، إلا أنها لا تغني عن الدروس الصوتية والمرئية، ولا تكفي عن الاستماع إليها.

وما هذه التفريغات إلا جهد من بعض طلاب الشيخ حفظه الله تعالى، رغبوا في المشاركة في الخير، والمساهمة في خدمة العلم وأهله، فكتب الله أجورهم وشكر سعيهم، والشيخ حفظه الله تعالى لم يراجع هذه التفريغات.

وفي الختام: فإننا ندعو الله عز وجل أن يبارك للشيخ في علمه وعمله، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يبارك له في إتمام ما بقى، ونسأل الله له المزيد من فضله، وأن يمتعنا بعلمه، وأن يطيل عمره على طاعته، وأن يتقبل ذلك منه، وأن يكون ذخرًا له ورفعة وشرفًا يوم لقاء مولاه، ورؤيته سبحانه وحلول رضاه.

وشكر الله للإخوة القائمين على هذا المشروع وكتب أجرهم، وجعله من العلم الذي ينتفع به، وتجري لهم به الحسنات، وتضاعف بسببه الدرجات.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

للتواصل وإرسال الملحوظات والتصويبات
t.Shoroh.dr.alnorstany@tmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير الأنبياء، نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد،

حياكم الله -أيها الأحباب الكرام- في هذا المجلس الأول من مجالس دروس التفسير، لشيخنا -حفظه الله- الدكتور/ محمد النورستاني، وهذا هو المجلس الأول من تفسير سورة الزمر.

أعُوذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرَّجيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (١) إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (٢)
أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٤) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ (٥)
خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا
مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٦) إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ
عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٧) ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ
مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ (٨) أَمَّنْ هُوَ
قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٩) قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى
ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)﴾ [الزمر: ١ - ١٠].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نحمده، ونُصلي على رسوله الكريم، أما بعد،

ما أجمل دروس تفسير القرآن الكريم في هذا الشهر، شهر رمضان المبارك، الذي هو شهر القرآن، فترتيب هذه الدروس بهذا الشكل ترتيبٌ موفق –بإذن الله-، ونسأل الله أن يجزي خيرًا كل من فكر وهيأ هذه المجالس.

درسنا سيكونُ في سورة الزمر، هذه السورة سُميت بالزمر لوجود هذا في آخر هذه السورة: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣]، وورد هذا في هذه السورة في آخرها مرتين، وهو في ترتيب المصحف التاسع والثلاثون، وفي ترتيب النزول: التاسع والخمسون، نزلت بعد سورة فاطر، وسورة سبأ، ونزل بعدها سورة غافر التي هي في ترتيب المصحف بعدها مباشرةً، ونزلت هذه السورة في السنة الخامسة من بعثة النبي ﷺ، قبل هجرة المسلمين إلى الحبشة.

وذكر الإمام **ابن القيم** –رحمه الله- ذكر أنه ورد في السنن **أن هذه السورة أحد سورتي الإخلاص** التي تعدل ثُلُث القرآن، وأنا لم أقف على هذا الحديث، ولكنه ذكر هذا في الحديث عن هذه السورة، وسواءٌ ثبت هذا الحديث أو لم يثبت فهذه السورة هي فعلًا سورة الإخلاص، بدأت بتقرير الإخلاص، وإخلاص الله –عز وجل-، وإفراده بالعبادة، واستمرت في تقرير هذا الأصل وبيّنت أن هذا الأصل هو أعظم مطالب هذا الدين، وفيها التدليل على هذا الأصل بأدلةٍ سمعيةٍ عقليةٍ كثيرة متنوعة.

وفيها أيضًا الرد على أبرز شُبَه المشركين، الشُبه التي كانت منتشرة عند المشركين في ذلك الوقت، ولا زالت تتداول وتُذكر عند مشركي هذه الأزمنة، لا زالت هذه الشبه هي الشبه.

بعد قضية التوحيد يأتي الحديث عن ركن الإيمان باليوم الآخر، الحديث عن هذا الركن في هذه السورة مركزٌ وكثيرٌ ومتنوع، وخُتمت السورة بذكر المنظر للفريقين المؤمنين والكفار، كيف أنهم يُحشرون إلى الله –عز وجل-.

وفي ثنايا هذه السورة هناك تقابلات كثيرة بين المؤمنين والكفار، بين عقول المؤمنين وعقول الكفار، وبين رجاحة عقول المؤمنين وسفاهة عقول الكفار، وبين مقامها وغير مقامها، ولأدى بعضهم -من كتب عن هذه السورة- أن هذه التقابلات وصلت إلى ثلاثة عشر تقابلًا بين الفريقين.

بدأت السورة بتقرير صدق هذا القرآن الكريم، وببيان مكانته، وبيانُ مكانة القرآن بيّنه الله –عز وجل- ببيان منزله أولًا، من الذي أنزَل هذا القرآن؟ وببيان من أُنزل إليه، من ذلك الذي أُنزل عليه هذا

القرآن، وببيان ما أُنزل به؛ هذا القرآن من الذي أنزله؟ وعلى من أُنزل؟ وبماذا أُنزل؟، وكل هذه الأمور الثلاثة تدل على عظمة هذا القرآن.

أما الأمر الأول: فقوله سبحانه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، وصف الله -عز وجل- نفسه هنا بثلاثة أوصاف:

أولًا: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ هذا مبتدأ، ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ هذا خبر، وقيل: أن ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ خبرٌ لمبتدأ مقدر، والقول الأول أوضح، وفيه عدم الاحتياج إلى التقدير، وهذا هو الأصل في الكلام.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ هذا الكتاب منزل، من الذي أنزله؟ من الله؛ أنزله ذلك المعبود الذي لا يستحق العبادة إلا هو، لماذا لا يستحق العبادة إلا هو؟ لأنه هو المتصف بصفات الكمال، ومن صفات كماله أنه عزيزٌ في سلطانه وحكيمٌ في أوامره وأفعاله وخلقه، هذا من اتصافه بصفات الكمال، فهو الله لا يستحق العبادة إلا هو.

العزيز فيه ثلاثة معاني:

١- عزة القوة.

٢- عزة الامتناع.

٣- عزة القهر.

عزَّ يَعَزُّ، عزَّ يعِزُّ، عزَّ يعُزُّ (بالترتيب)، عزة القوة والامتناع والقهر، بهذا الترتيب، والله -عز وجل- لا يُغالب، لا يغالبه أحد، وهو حكيمٌ، والحكيم هذا الاسم يتضمن أمرين: له الحكم فقط، وهو حكيمٌ في أمره وخلقه وفعله، فهو يتضمنُ الحُكم والحكمة، فهذا القرآن نزَّله الله -عز وجل- الذي هو العزيز الحكيم، هذه الأوصاف الثلاثة، أو هذه الأسماء الثلاثة هي مناسبة جدًا للمقام هنا.

ثم يبيّنُ -سبحانه- جلالة هذا القرآن إذًا ببيان من أُنزل إليه، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾، يعني من جلالة هذا القرآن أنه أُنزل على خاتم النبيين وعلى خاتم الرسل، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [الزمر: ٢] بماذا أُنزل؟ هذا أيضًا يدل على جلالة هذا القرآن، ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أي: مبينًا للحقِّ، ومُظهرًا للحقِّ، ومتضمنًا للحق، وأي حقٍ في أي مجال تجده في هذا القرآن، إذا أردت الحق في أي مجال، في الاعتقاد، في الأحكام، في الآداب،

في الأخلاق فهو في هذا القرآن، بالحق، متضمنًا للحقِّ، ومُظهرًا للحقِّ، ومبينًا للحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

هذا إجمال، هذا القرآن أُنزل بالحق، وليس فيه إلا الحق، ما في هذا القرآن كله حق، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ثم بعد ذلك تفصيل للحق الذي تضمنه هذا القرآن، وقد بدأ بأعظم الحقوق، وبأعظم الحق؛ وهو حق الله –عز وجل-، حق الله –عز وجل- هو أن يوحد ويُفرد بالعبادة، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] وهذا يدل على أن التوحيد هو أول الأمر وآخره –كما في الحديث-، (لا إله إلا الله) هذا لب هذا الدين، وهذا لب ما في هذا القرآن، التوحيد.

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] أي: مخلصًا له عبادتك من جميع الشواهد، ليس المطلوب هو العبادة فقط، لأن المشركين أيضًا كانوا يعبدون الله –عز وجل-، وفي هذه الآية التي ستأتي: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ [الزمر: ٣] فيها إشارة إلى أنهم يعبدون الله –عز وجل-، فإذًا يعبدون الله –عز وجل-، ويعبدونهم أيضًا؛ وهم يبررون عبادتهم لغير الله –عز وجل-، أما عبادتهم لله –عز وجل- ما يحتاجون إلى تبريرها، وهذا مستقرٌ عندهم، وهم يعبدون الله –عز وجل- بأنواع العبادات.

ولذلك نزلت سورة مستقلة؛ لبيان أن عبادتهم ليست هي العبادة الشرعية: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢]، إذًا هم يعبدون، فليست القضية قضية عبادة فقط، وإنما قضيةُ الإخلاص في التوحيد.

﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، الدين المراد به الطاعة والخضوع، تخلص له في عبادتك، تخلص له في طاعتك، هذا هو المطلوب، والمراد بالدين هنا أيضًا –كما ذكر بعض المفسرين- ما يشمل الدين كله من الإسلام، والإيمان، والإحسان؛ فأنت تخلص له في عقيدتك، تخلص له في عباداتك الظاهرة، والباطنة، لا تجعل لأحدٍ شركةً في العبادة، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، إذًا هذا الترتيب يبيّن لنا عظمة التوحيد، كما أنه يبين لنا عظمة هذا القرآن، ويبين لنا أهمية التوحيد، كما في حديث معاذ: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»، كما في حديث معاذ لما أرسله

إلى اليمن، «إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أولَ ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»، أو العكس في الإعراب.

﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] هذا فيه تقريرٌ لهذه القضية، وبهذه الأهمية، بـ (ألا) وهي أداةٌ تُستعمل للفت الانتباه، ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. الله -عز وجل- هو الذي يستحق الطاعة الخالصة والعبادة الخالصة، هذا أصل، هل هناك من يخالف في هذا؟ نظريًا ودعوًا لا، حتى المشركون يقولون: نحن موحدون، حتى المشركون إذا قيل لهم أنتم مشركون ما يرضون، لأنهم يقولون: عبادتنا لغير الله -عز وجل- له سبب، إنما يرجع في النهاية إلى تعظيم الله -عز وجل-.

ولكنهم ماذا يقولون؟ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الزمر: ٣]؛ أولياء جمع ولي، والولي هو النصير، هو المعبود، هو الذي يُرجى، هو الذي يُلجأ إليه، والذين اتخذوا من دون الله أولياء ماذا يقولون؟ مقدر هنا (يقولون)، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]. في هذه الجملة أولًا اعتراف منهم أن ما يصرفونه لهم هي عبادة؛ لأن بعض المبتدعة الآن ينازعون حتى في هذا الأمر الذي كان يعترف به مشركو قريش، مشركو قرشي يعترفون أن ما يبذلونه ويصرفونه لأولئك لا يخرج من العبادة، ولكنها في النهاية ترجع إلى الله -عز وجل-، وبالتالي كانوا يقولون: لسنا مشركين.

أما بعض من يُشرّع الشرك في هذا الوقت يقولون: هذه ليست عبادة، لماذا ليست عبادة؟ لأن العبادة لا بد فيه من قيد اعتبار التصرف، هكذا يقولون. أولئك يعترفون أن هذه عبادة، وهي فعلًا عبادة، الله -عز وجل- يقرر أنها عبادة، هي عبادة تُصرف لغير الله -عز وجل- فلذلك هذا شرك، أي عبادة تُصرف لغير الله -عز وجل- هذا شركٌ أكبر مخرج من الملة. ماذا يقولون؟ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، ما نعبدهم لذاتهم، ما نعبدهم لذواتهم، هم يعبدون ماذا؟ يعبدون الأصنام والهياكل التي بنوها على شكل الملائكة أو أولئك المقربين، يذهبون ويتقربون إليهم، ليرضوا من؟ ليرضوا الملائكة. أو يعتقدون فيهم، لماذا؟ ما الفائدة؟ يقولون: ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ﴿زُلْفَى﴾ أي: قربةً، يقربوننا إلى الله أكثر، لأننا لا نستحق، ولسنا مؤهلين أن نذهب ونطلب من الله مباشرةً، فلذلك هؤلاء يتوسطون لنا.

هذه شبهة المشركين قديمًا وحديثًا، أليست هذه هي الشبهة إلى الآن؟ نفس الشبهة، وبنفس التقرير، والذين يقررون هذه الشبه من الغريب أن بعضهم يكون قد فسّر القرآن الكريم، له تفاسير، ويكون له

أيضًا شروح للأحاديث، وسبحان الله، تجد الشيطان قد تمكن من قلبه، فهو يجد الشرك الصريح يعتبره توحيدًا، مثل أولئك المشركين، الشبهة هي نفس الشبهة؛ شبهة الشفاعة، وشبهة الوسيلة، التوسل، هي هذه الشبهة؛ أن أولئك يشفعون، وأن أولئك يتوسلون، وأن أولئك يقربونا إلى الله زلفى، هذا هي الشبهة.

ولذلك الله -عز وجل- ردَّ على هذه الشبهة، شبهة الشفاعة، وكذلك شبهة الوسيلة، ردَّ عليها في كتابه في عدة مواضع، ردَّ عليها إجمالًا وتفصيلًا، وسيأتي الرد عليها في هذه السورة، سيأتي في هذه السورة أن الشفاعة كلها لله -عز وجل-، الشفاعة لله -عز وجل-، وهو الذي يأمر بالشفاعة، وهو الذي يحدد من يشفع، وهو الذي يحدد من يُشفع له، هذا كله سيأتي في هذه السورة، كما أن هذا قد ذُكر في عدة سور، في عدة مواضع من القرآن الكريم.

ماذا يقول الله -عز وجل- هنا؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزُّمَر:٣].

هذه الشبهة -أيها الإخوة- التي هي شبهة المشركين قديمًا وحديثًا فيها تسوية الله -عز وجل- بغيره من المخلوقين، وفيها -سبحان الله- تجرؤ واستخفاف لمقام الألوهية بشكل غريب، أولئك المشركين يقيسون الله -عز وجل- بالملوك، ملوك الدنيا، يقولون: أنت لما تذهب إلى الملك، تذهب إليه مباشرةً، أم تبحث عن واسطة توصلك إليه؟ فهكذا، هؤلاء الملوك فعلًا نحن نبحث عمن يوصلنا إليهم، لماذا؟ لأنهم ما يدرون عني، ماذا تدرون عني، وعن حاجتي؟ وهل أنا مستحقٌ أو لا؟ **هذا أولًا**: ما يدري.

وثانيًا: هذا الوسيط يجعله يرحمني، والله -عز وجل- أرحم الراحمين، ليس بحاجة إلى أن يسترحمه أحد، وأن نبحث عن شخص يجعله يرحمنا، هو أرحم الراحمين، أرحم بنا من أمهاتنا وآبائنا.

أولئك الملوك قد يبخلون، ونحن نستفيد من الوسائط أن يحثوهم على الجود، والله -عز وجل- أجود الأجودين، لا يحتاج إلى هذا، وهؤلاء قد يراءون الوسطاء، ما يريد ولكنه يمشي الواسطة، الله -عز وجل- قال: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣]، فأنت لما تقيس الله -عز وجل- بغيره بهذا الشكل، هل احترمته؟ ولذلك الشرك هو الظلم الذي لا ظلم بعده، ولهذا يقول "لقمان" الحكيم: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وأعظم الظلم هو أن تعبد غير الله -عز وجل-، وأن تقيس الله -عز وجل- بمخلوقاته المهازيل العجزة، الذين ينقصهم ما ينقصهم، فكيف تقيسه بغيره؟

يقول الله –عز وجل- هنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمَر:٣]؛ ذكر هنا وصفين لهؤلاء:

الوصف الأول: أن إرادتهم ليست إرادة صافية، يريدون الكذب.

والوصف الثاني: أن حالهم حال الكفر والجحود، مع أنهم ينظرون إلى هذه الآيات، وإلى هذه الأدلة، وهو يكذب ويجحد، وهذا ليس مستحقًا للهداية، فإذا أردت الهداية فاجعل نفسك مستحقًا للهداية.

ثم ضمن هذه الشبهة في تفاصيلها، أنهم يرون أن الشبهة فيها إشارة إلى معتقدهم أيضًا فيما يتعلق بالملائكة، وأنهم بناتُ الله، وفي معتقدهم في هؤلاء الذين يعبدونهم.

الله –عز وجل- يقول: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الزُّمَر:٤]، أنتم تقولون أن الله –عز وجل- اصطفى الملائكة بنات؛ فلذلك نحن نتقرب إلى الملائكة عن طريق هذه الأصنام التي هي بشكل الملائكة، حتى نرضي الملائكة، وهم يتوسطون لنا، يقربوننا إلى الله زلفى –هكذا تقولون-، من الذي أخبركم إن الله –عز وجل- اصطفى لنفسه ولدًا أو بنتًا؟ من الذي أخبركم؟ لو كان هذا الأمر ممكنًا لتولاه بنفسه، لقال لنا (هذا ولدي) –نعوذ بالله-، ولحدده بنفسه، لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق ما يشاء، ولحدده، ولأخبر عنه في كتابه، أو على لسان رسوله –صلى الله عليه وسلم-، ولكن أين هذا؟ سبحانه، الله –عز وجل- منزه عن أن يتخذ ولدًا.

﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزُّمَر:٤]هذا دليل، الله –عز وجل- هو الواحد القهار، لو كان له ولد لكان له شيءٌ من الإدلال به إليه، الله –عز وجل- هو الواحد القهار، وهذان الاسمان الكريمان يُذكران دائمًا هكذا؛ لأنهما متلازمان، وذُكرا أيضًا في سورة "ص" في الصفحة المقابلة، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥].

لماذا يتلازمان؟ لأن الواحد لا يكون واحدًا إلا إذا كان قهارًا، الآن هؤلاء ملوك الدنيا لو لم يكن هناك من يقهرهم، سبحان الله، كل واحد هل يرضى أن تنزل مرتبته عن غيره؟ لا، ولكنه مقهور، الله –عز وجل- يقهره، ولذلك، والله –عز وجل- هو الواحد، أي: لأنه قهارٌ لغيره؛ ليس هناك من يستطيع أن

يصل إلى درجته، فهو واحد، وكونه واحد هذا يستلزم أن يكون قهارًا، كونه قهار يستلزم أن يكون واحدًا، هذان يتلازمان.

وإلا ما رأيكم في هؤلاء الجبابرة؟ ملوك الكفار هؤلاء؟ الذين بلغوا في العتو ما بلغوا، لو أن الله -عز وجل- لو لم يكن قاهرًا لهم، مذلًا لهم، يرغمهم، يميتهم، لادَّعوا الألوهية، ماذا قال فرعون؟ أنا ربكم الأعلى، أين هو الآن؟ يُستخف بتاريخه، يُذكر في التاريخ للنكتة، وهكذا هؤلاء الجبابرة، الله -عز وجل- يذلهم ويقهرهم.

فهذان الاسمان يتلازمان، فهو الواحد؛ لأنه قهار، وهو قهار؛ لأنه واحد، وهكذا في الاسمين الكريمين اللذين ذُكرا في البداية (العزيز الحكيم)؛ هذان الاسمان أيضًا يُذكران غالبًا مقرونين؛ لأن العزيز الذي لا يكون في عزته حكمة فهذا قد يؤدي أمره إلى ظلم، كما هو في أعزاء الدنيا، والحكيم الذي ليس عنده عزة ولو كانت عنده حكمة وحكم ما يستطيع أن ينفذها مثل العجزة، كما الذي لا يستطيع. الله -عز وجل- يجمع بين الأمرين؛ عزيزٌ وحكيم.

بعد هذا بدأ في ذكر الأدلة التي تدل على انفراده بالربوبية، وبالتالي هو الذي يستحق العبودية، وهذا كثيرٌ في القرآن، فالله -عز وجل- يستدل بأدلة ربوبيته لانفراده بالألوهية، والأدلة التي ذُكرت هنا بُدأت بالأدلة التي يُقال عنها بأدلة الآفاق، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الزُّمَر:٥]، فالله -عز وجل- هو الذي خلق السموات والأرض، وهل خلقهما عبثًا؟ كما يقول الله -عز وجل-: ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص: ٢٧]، لم يخلقهما عبثًا، إنما خلقهما بالحق، أي: لإظهار الحق، ولإثبات الحق، ومتضمنًا للحق.

﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزُّمَر:٥]، يكوّر أي: يدخل، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل مثل يولج الليل، بمعناها، وذكر بعض المفسرين المحدثون أن هذا التعبير دقيق بالنظر إلى نظرية كروية الأرض؛ لأن الأرض هي كروية، وحركتها حول نفسها في مقابل الشمس، والشمس لما تقع على جزءٍ منها يكون نهارًا، ثم لحركتها يذهب هذا، فيأتي الجزء الآخر فيكون الليل.

فسبحان الله، دخول هذا على هذه الكرة مثل كأن هناك تكوير، بمعنى الكرة، هذا أيضًا مناسب شيئًا ما.

﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزُّمَر:٥]، هذا أيضًا من آيات الله –عز وجل-، نحن نكون في ليل وفجأة وبترتيب يكون نهار، نحن ما نفكر في هذه الآيات، لأنها صارت عادية، وكما يقولون الأحاسيس أصابها شيء، وهي آيات تدل على انفراد الله –عز وجل- بالخلق، وعلى عظمته.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [الزُّمَر:٥]، طبعًا يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل هذه أجزاء الزمن.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزُّمَر:٥]، كلٌ يجري في مسارٍ معين، ولأجل مسمى، إلى متى؟ ما ندري، الله –عز وجل- هو الذي يحدد هذا الأجل المسمى، هكذا سيكون هذا الدور، فكلٌ في فلكٍ يسبحون، إلى متى؟ ما ندري، الله –عز وجل- هو الذي يستأثر بعلمه.

﴿أَلا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الزُّمَر:٥]، كل هذه الأمور تدل على كمال قدرته، ولكنه مع ذلك الغفار، يفتح باب التوبة، ويؤمل المشركين فكيف بغيرهم، فهؤلاء المشركين يؤملهم في رحمته، ألا هو العزيز وهو الغفار، غفار صيغة مبالغة في الغفران، كثير المغفرة.

ثم ذكر الأدلة التي هي في نفس الإنسان، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الزُّمَر:٦]، كل هؤلاء الذين خُلقوا من بني آدم، من بعد آدم إلى آخر من يولد من نفسٍ واحدة، ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، وسبحان الله! كلهم يتفقون في أقدار مشتركة، ويختلفون في أمور معينة، في الشكل، وفي المرادات، وفي كثير من الأمور، يتفقون، ويختلفون، لو تنظر إلى الأشقر –سبحان الله-، هؤلاء الملايين أشقارهم تختلف، لن تجد اثنين متطابقين تمامًا في الشكل.

نعم، هناك تقارب، أما متطابقين لن تجد، نحن الآن في البصمة هذه –سبحان الله- شيء عجب، ليس هناك أحد يتطابق مع الثاني في بصمته، لا هنا، ولا في بصمة العين، هذا كله يدل على قدرة الله –عز وجل-، وهي فعلًا آياته.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ﴾ [الزُّمَر:٦]، هذه أيضًا آيات تدل على قدرته وكونه هو المستحق للعبادة، ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ﴾ ؛ طبعًا كلمة (أنزل) اختلف المفسرون في إطلاق هذه الكلمة على الأنعام، ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾، ثمانية أزواج هي المذكورة في سورة «الأنعام»، من قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ

الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤].

وهي أزواج كما ذكر الله –عز وجل- هنا، فتكونُ ثمانية، وإلا فهي أربع أنواع، خُصت هذه الأنواع؛ لكثرة فوائدها ومنافعها، ولاختصاصها أيضًا بأحكامٍ ليست لغيرها، كما هي في الأضحية وغيرها.

﴿ **وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ**﴾ ، كلمة ﴿ **وَأَنزَلَ** ﴾ قلتُ اختلف المفسرون في تفسير الإنزال هنا، ذكر بعضهم أن بما أن هذه الأنعام قوتها يكون بالمطر، فالمطر يصح فيه الإنزال، المطر يصح فيه إطلاق الإنزال، فلذلك أُطلق عليها، والله أعلم، هذا قد يكون أقرب الأقوال.

﴿**وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**﴾ [الزُّمَر:٦]، يعني إطلاق الإنزال بالنظر إلى قوتها، وليس بالنظر إلى نفسها.

وهناك قول: أن أول فرد من هذه الأنواع الأربعة خُلق في السماء، ثم أُنزل، هكذا قالوا. والله أعلم.

﴿**يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**﴾ [الزُّمَر:٦]، يشير هنا إلى آيةٍ أخرى أيضًا عجيبة، نحن ما نفكر فيها، ﴿**يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ**﴾ [الزُّمَر:٦]، لا شك أن الجنين يمر بأطوارٍ كثيرة جدًا في بطن أمه، وهو في بطن أمه في ظلماتٍ ثلاث، **الظلمات الثلاث هذه**:

- ظُلمة الكيس هذا الذي يلف الجنين، الذي يسمى «المشيمة».
- وظُلمة الرحم، الذي يستقر فيه هذا الكيس.
- وظُلمة البطن الذي يستقر فيه الرحم.

كم صارت هذه؟ ثلاث.

الإنسان هل يمكن أن يُدبِّر شيئًا في ظُلمةٍ واحدة؟ شيء دقيق يحتاج إلى دقة وترتبه في ظُلمة، هل تستطيع؟ لا، هذه ظلمات ثلاث، ومراحل كثيرة، لاحظوا في التعبير ﴿**يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِن بَعْدِ خَلْقٍ**﴾ ؛ لأن هناك مراحل كثيرة جدًا. ﴿**فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ**﴾؛ ليست ظُلمة واحدة، في ظلماتٍ ثلاث.

﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ**﴾ [الزُّمَر:٦]، ذلك هو الذي يستحق العبادة، ذلكم الله، أي: ذلكم هو الذي يستحق العبادة، لماذا؟ لأنه هو ربكم، هو الذي يخلقكم.

﴿لَهُ الْمُلْكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزُّمَر:٦]، فأنى تُصرفون عن هذه الآيات، هذه الآيات فيها ما هو في نفسك، فيها ما هو حولك، وأنت لا تخلو منها، هذه الآيات التي ذُكرت، هذه الآيات دائمًا أنت تراها، فأنى تُصرفون.

ثم بيّن الله -عز وجل- بعد ذكر هذه الآيات وهذه الأدلة بيَّن أن من يكفر مع ذلك كله فلا يظلم إلا نفسه، لا يظن أن ذكر هذه الآيات وذكر هذه الأدلة هذا كله يُستعطف به أبو جهل، أو فلان، وأن في إسلامهم مصلحةٌ لله -عز وجل-، أو لرسوله، أو للمؤمنين، لا، المصلحة ترجع إلى نفسه.

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ [الزُّمَر:٧]، لا تظلمون إلا أنفسكم، ومن آمن فلأنفسهم يمهدون، لماذا تدعونا إلى الإيمان، إذا كنت مستغنيًا ﴿وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزُّمَر:٧]؟ لأن الله -عز وجل- أرحم الراحمين، لا يرضى لعباده الكفر، ولذلك هو ليس لمصلحةٍ ترجع إلى نفسه، لا، لمصلحةٍ ترجع إليك أنت.

﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزُّمَر:٧]، الله -عز وجل- من رحمته، ومن كماله، ومن غناه، ومن كونه محمودًا، ومن كونه له الحمد كله إن تشكروا يرضه لكم، ليس لأنك نفعته، أنت نفعت نفسك، ولكن الله -عز وجل- يرضى بشكر عباده، ولا يرضى لعباده الكفر. الرضا هنا هو الرضا الإرادة الشرعية، هنا في أغلب التفاسير التي هي تفاسير المتكلمين تجدهم يتخبطون هنا، وكما تعرفون، **الإرادة تنقسم إلى قسمين عند أهل السنة:**

١- إرادة شرعية، ٢- إرادة كونية.

الإرادة الكونية تتحقق لا محالة؛ أما الإرادة الشرعية فقد تتحقق، وقد لا تتحقق، والإرادة الشرعية الله -عز وجل- هذه هي الإرادة الشرعية، لا يرضى لعباده الكفر، وإن تشكروا يرضه لكم، الله -عز وجل- لا يريد لعباده شرعًا الكفر، ويحب من عباده شرعًا الشكر والإيمان.

﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الزُّمَر:٧]، لا تظنوا أن هناك -حتى ولو كفرت- فوالدي فلان، وجدي فلان، كما يقول هؤلاء: لبيك يا حسين، هذا لا ينفع أبدًا، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [فاطر: ١٨]، أبد، ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى، أنت الذي ستنفع نفسك، لا تظن أن هناك من سينفعك أبدًا.

﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ [الزُّمَر:٧]، الله -عز وجل- يهدد هنا بذكر الآخرة، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الزُّمَر:٧]، إذا كان عليمًا بما في الصدور، فكيف بغيره، فمحاسبة الله -عز وجل- لا يتجاوزه أحد؛ لأنه لا يخفى عليه شيء، فهذا علمه، لن يتجاوزه أحد.

ثم يبين الله -عز وجل- هنا صنفين من أصناف بني آدم؛ وبنو آدم يعني أبناء آدم -سبحان الله- فيهم العجب، وهم أصناف، ذكر الله -عز وجل- هنا صنفين:

الصنف الأول: هو الصنف الذي يتنكر نعم الله -عز وجل-.

والصنف الثاني: هو الصنف القانت العابد، المداوم على عبادة الله -عز وجل-، وهذا فيه تقابل بين الفئتين.

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزُّمَر:٨]، ذكر أغلب المفسرين أن المراد بالإنسان هنا المشركون، وإذا مس الإنسان ضرٌ دعا ربه منيبًا إليه، مخلصًا إليه، راجعًا إليه، حتى المشركون هكذا كانوا، ذكر الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** في «القواعد الأربع» أن مشركي زماننا أكثر شركًا من أولئك؛ لأن مشركي زماننا حتى في الشدائد يلجؤون إلى أولئك، أما أولئك لا، أما أولئك هكذا كانوا؛ ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ﴾ [الزُّمَر:٨]، خوله: أي أعطاه.

يذكر الله -عز وجل- هنا هذا التناقض في هذا المشرك، في حال السراء مشرك، وفي حال الضراء موحد، يقول الله -عز وجل-: هذا تناقض منك، إما كن موحدًا، وإما كن مشركًا، أنت لما تكون مشركًا، مع أن هذا الذي يليق أن تكون موحدًا فيه، ولما تكون في حال الضراء تكون موحدًا، وبعد دقائق تنسى هذا التوحيد.

يقول: ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [الزُّمَر:٨]، لولا فلان، وفلان كنت مع الهالكين، سبحان الله، وما نجاك إلا الله -عز وجل-، ولم تدعو إلا الله -عز وجل-، ولم تلجأ إلا إليه ونسيته.

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [الزُّمَر:٨]، ليس ندًا واحدًا، بل أندادًا، ليضل عن سبيله، ﴿قُلْ﴾ هذا التهديد؛ ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً﴾ [الزُّمَر:٨]، يعني كم هذا العمر؟ حتى ولو استمر العمر إلى مائتي سنة، ثلاثمائة سنة، بل الدنيا من أولها إلى آخرها كم عمرها كلها؟ قليل، ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزُّمَر:٨]، هذا مآلك.

الصنف الثاني، قارن هذا بهذا الصنف، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ [الزُّمَر:٩]، أي: عابدٌ لله -عز وجل-، ومديمٌ ومقيمٌ على ذلك، هذا هو القنوت، ﴿قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ [الزُّمَر:٩]، ذكر الله -عز وجل- هنا وصفه بالعبادة، ووصفه بأعظم العبادة، وهو الصلاة، واختار أحب الأوقات إلى الله -عز وجل-، وهو الليل، فإذا كان هكذا في الليل فكيف يكون في النهار؟ لا يحتاج أن يُقال، أليس كذلك؟

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾، لماذا؟ لأنه يحب الله -عز وجل-، طبعًا هنا في هذه الآية هذا الصنف وُصف بصفاتٍ عظيمة، منها: أنه يحقق أركان العبادة القلبية: (المحبة، الرجاء، الخوف)، عبادتهم كثيرة وكاملة، وتامة الأركان.

لاحظوا، ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزُّمَر:٩]، عبادتهم فيها خوف ورجاء، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر:٩]، ما الذي جعلهم يعبدون الله -عز وجل- بهذا الشكل؟ علمهم، ولذلك ذكر العلماء في تفسير هذه الآية، منهم أبو حيان وغيره: أن من لم ينفعه علمه، ولم يؤده علمه إلى هذه العبادة فعلمه وبالٌ عليه، هذه فائدةُ العلم، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزُّمَر:٩]، من الذي يتذكر؟ يتذكر أولو الألباب.

نسأل الله أن نكون منهم، وصلى الله، وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله، وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد، حياكم الله –أيها الأحباب الكرام– في هذا المجلس الثاني من مجالس التفسير، لشيخنا –حفظه الله– فضيلة الدكتور/ محمد النورستاني.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ
ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ
حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ
قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ
ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ
أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي
عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ
بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزمر:
١١ – ٣١].

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد.

في هذا الدرس يبدأ الدرس التوحيدي مرة أخرى، وقد ذكرتُ في المقدمة أن هذه السورة هي أحد سورتي الإخلاص، موضوع التوحيد فيها مقرر تقريرًا وتمثيلًا، وهذا الذي سنبدأ به من هذا القبيل.

يقول -عز وجل-: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، بعدها يقول ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]؛ في الآية الأولى إخبارٌ عن الأمر، في الآية الثانية إخبارٌ عن امتثاله لهذا الأمر، وفي بداية السورة سبق تقرير هذا الأصل، وأن الحق الذي يتضمنه ويشتمل عليه هذا القرآن وهذا الكتاب أعظمه وأهمه هو توحيد الله -عز وجل-، وإفراده بالعبادة، والإخلاص في ذلك.

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، ﴿ أُمِرْتُ﴾، وقد سبق هذا الأمر في بداية هذه السورة، أن أعبد الله، أمرت أن أعبده، وذكرنا أن العبادة لا تكفي، لابد من الإخلاص فيها، ولابد من إفراد الله -عز وجل- بها.

﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾؛ أي: الطاعة، والعبادة، وسبق أيضًا أن ذكرتُ أن «الدين» ذكر بعض المفسرين: أن المراد به الدين بأنواعه الثلاثة، بأقسامه الثلاثة؛ الإسلام، والإيمان، والإحسان.

نعم، هذه الآية لم نأخذها، ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

بعد أن ذكر الله عز وجل الفئتين المتقابلتين، فئة شاكرة، ومديمة في طاعة الله -عز وجل-، وقانتة، وذكرنا أن القنوت هو الإدامة، والدوام، والاستمرار في العبادة، والفئة التي كانت متنكرة لنعم الله -عز وجل-، بعد ذلك يأتي الأمر والتوجب بالأمر إلى المتقين يؤمرون بأعظم أمر.

ويُذكر أيضًا لذلك دليله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الزمر: ١٠]، التقوى وهو الإحسان، التقوى يأتي في القرآن بمعنى الإحسان، **والإحسان**: هو كمال الإيمان والإسلام.

﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾، الذين أحسنوا في هذه الدنيا جزاؤهم ماذا؟ جزاؤهم الحسنة. التنبيه هنا للتعظيم، والحسنة هذه حسنةٌ عظيمة أطلقها الله -عز وجل-، وهذه الحسنة

ذكر بعض المفسرين أنها في الدنيا، وبعضهم ذكر أنها في الآخرة، والصحيح أنه عامة؛ وهذه الحسنة في الدنيا وفي الآخرة.

الذين أحسنوا في هذه الدنيا لهم الحسنة. يأتي السؤال، ويُقال بعض الذين يتقون الله -عز وجل-، ويتعبدونه، ويخلصون له الدين مُضطهدون في هذه الدنيا، ليس لهم قرار، فيقول الله -عز وجل-: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾، وهذا فيه ترغيبٌ في الهجرة، بل فيه أمرٌ بالهجرة، بعد أن أُمروا بالتقوى، وهذا يدل على أن التقوى ليس من السهل حصولها، قد تُضطر إلى ترك بلادك، وترك ما ألفته من الإخوان والعشيرة والأقارب، لماذا؟ للحصول على هذه التقوى.

﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾، ولا شك أن الهجرة ليست سهلة، الهجرة معناها أنك تترك كل ما ألفته، وتترك كل ما هو راحتك، وتعودت عليه؛ ولذلك يذكِّر الله -عز وجل- بالأجر الجزيل العظيم لهذا الذي يجب أن تُقْدم عليه، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، لأن الهجرة تحتاج إلى صبر، والصبر يقول الله -عز وجل- هنا: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، أجر الصابرين ليس له عد، ولا حساب، حسابه عند رب العالمين، لا يمكن أن نعده، وأن نحسبه، وأن نضرب عددًا في عدد، ونصل إليه، لا، أجرهم بغير حساب، وهذا فيه إغراءٌ، وأمر بالهجرة، متى؟ إذا لم تتمكن أن تعبد الله وحده لا شريك في ذلك البلد.

للأسف الشديد، نحن الآن نرى ظاهرة من أسوء ما تكون، تجد بعض أبناء المسلمين يهاجرون إلى بلاد الكفار، سبحان الله، -والله- ظاهرة مستعصية على الفهم، كيف تُقدِم على السفر إلى بلاد الكفار بنية الإقامة هناك؟ كيف تعرض إيمانك وفطرتك، بل وأهلك وعيالك وعقبك تعرضهم للكفر، سبحان الله، في مقابل ماذا؟ حفنة من الدنيا، وهب أنك تملكت الدنيا وما فيها، وبعد يومين مصيرك إلى القبر، وكما سيأتي في الآية التي بعدها، قد خسرت كل شيء، لم تربح شيئًا.

والله -عز وجل- يأمرنا هنا أن نهاجر لتحقيق عبادة الله -عز وجل-، إذا لم تستطع أن تعبد الله -عز وجل- هنا، أو هناك فكما يقول الله -عز وجل-: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾، وليست معذورًا في البقاء هنا، أو هناك.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، بعدها: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ(١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر:١١، ١٢].

ذكر هنا أمرين، يقول النبي ﷺ، يخبرنا، الله –عز وجل- يأمره أن يخبرنا أنه مأمورٌ بأمرين:

الأمر الأول: أنه مأمورٌ بعبادة الله –عز وجل- وحده لا شرك له، وأن يخلص له العبادة.

وأمر أيضًا، لأنه قد يُقال لماذا تهاجر؟ خلي العبادة بينك وبين ربك، ولا تظهرها، لماذا تهاجر؟ فيأتي هذا الأمر: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١٢].

أنا أُمرت بالاستسلام ظاهرًا وباطنًا، لا بد أن أُظهر، الإسلام هو العمل الظاهر، والإيمان هو العمل الباطن، فأنا أُمرت بالاستسلام ظاهرًا وباطنًا؛ ولذلك لا بد من الهجرة، إذا لم أستطع أن أُظهر شعائر الله –عز وجل-، فهذان أمران، وكل أمرٍ مترتب على الآخر، ولا يكفي أحدهما عن الآخر، كيف تعيش وأنت تبطن وتستر أهم ما أنت عليه؟ لا يمكن، لا بد أن تُظهر، وأنت مأمورٌ أن تظهر.

الأمر هنا للنبي ﷺ، وكما ما ذكر المفسرون هذا الأمر مأمورٌ به كل من كان على خطاه، كل من كان داعيةً، وكل من كان من أهل العلم؛ فهو من ورثة النبي ﷺ، وهو مأمور بهذا، مأمور بماذا؟ أُمرت لأن أكون أول المسلمين. أول من ينقاد، وأول من يُظهر الاستسلام ظاهرًا وباطنًا.

ثم قد يأتي سؤال، يُقال: النبي ﷺ كان بإمكانه أن يبقى في مكة، لأنه قد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه، وما تأخر، فهل كان يؤثر عليه لو بقي في مكة؟ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ﴾ [الزمر: ١٣]، من الذي يخاف؟ النبي ﷺ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: ١٣]، هذا وهو النبي ﷺ، هذا وهو من؟ أشرف الخلق على الله –عز وجل- يخاف، يخاف عذاب يومٍ عظيم إن لم يمتثل، إن لم يستسلم.

وكثيرٌ من أهل التصوف ليس عليه أي خطر، بل عليه أن يُظهر خلاف ما عليه –كما يقول أهل الشريعة-، يعني كثير من أنواع الزندقة –سبحان الله- مررها الشيطان بأشكالٍ عديدة، وكما ألَّف شيخ الإسلام كتابًا مستقلًا، «**الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**»، التبس هذا الأمر حتى على كثير من الناس، هذا الذي يظهر الزندقة، ويدعو إلى الزندقة هذا أيضًا عند كثيرٍ من الناس «ولي الله»، وكما يقولون: الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، لماذا هو كبريت أحمر؟ سبحان الله. وهذا النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: ١٣].

﴿قُل اللَّهَ﴾ [الزُّمَر:١٤]، هذا إخبارٌ من النبي ﷺ، وهو مأمورٌ بهذا الإخبار، يخبرنا أنه قد امتثل ما أُمر به، ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ﴾ هو "قل أعبد الله"، لكن قُدِّم اسم الله –عز وجل-؛ لبيان الحصر والقصر، أي: قل الله أعبد ولا أعبد غيره.

﴿مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ [الزُّمَر:١٤]، هذا أيضًا تكريرٌ، وتأكيدٌ للإخلاص.

ثم يقول للمشركين: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [الزمر: ١٥]، هذه غايةُ الخذلان، أن يعبد الرجل كل شيء دون الله –عز وجل-، سبحان الله، حظه كل شيء، معبوداته كل شيء باستثناء الله –عز وجل-.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [الزمر: ١٥]،ونحن ذكرنا في تفسير بداية هذه السورة أن المشركين كانوا يعبدون الله –عز وجل- بأنواع العبادات، وهم لا يقبلون أن يُقال عنهم أنهم مشركون أصلًا، ومع ذلك يقول الله –عز وجل- هنا: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [الزمر: ١٥]، لأن الرجل إذا أشرك مع الله –عز وجل- أحدًا فقد عبد أولئك، ولم يعبد الله –عز وجل-، ليس له في عبادة الله –عز وجل- نصيب.

إذًا، ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [الزمر: ١٥]، هذا تهديد، وما هي النتيجة؟ ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾[الزمر: ١٥]، كانوا يطلبون من النبي ﷺ أن يتوسط في الأمر، لا يخسرهم أيضًا، يقبلون منه، ويقبل منهم، كانوا يقولون: أنت خسرت كل شيء، يقول الله –عز وجل-: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [الزمر: ١٥]، الذي خسر نفسه ما الذي ربحه؟ أليس كدّنا وتعبنا كله لأنفسنا؟ أليس كذلك؟ فالذي خسر نفسه ما الذي ربحه؟ لم يربح شيء.

لذلك، ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، هذا خسر نفسه، وخسر أقرب الناس إليه، وهم أهله، ألا ذلك هو الخسران المبين، هذا الخسران يبيّن الله –عز وجل- بعض مظاهره، كيف هذا الخسران الذي كان حظ هذا الرجل؟ هذا الخسران من مظاهره: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزُّمَر:١٦]. نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ألا نكون منهم.

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾، هؤلاء الذين خسروا أنفسهم هم محاطون بالنار، من فوقهم، ومن تحتهم، إحاطةً وصفها الله -عز وجل- بهذا الشكل، يعني فوقهم طبقاتٌ من النار، وتحتهم طبقاتٌ من النار، ليست طبقة واحدة، فهل يمكن أن يخرج منها.

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ ظلل: طبقات من النار، ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾، الطبقات التي تحتها سُميت في سورة الأعراف "مهاد"؛ ومن فوقهم "غواش".

﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزُّمَر:١٦] قد يُقال: هؤلاء أهل العناد لن يستفيدوا من هذا التهديد، فلماذا يُذكر هذا؟ يقول الله -عز وجل-: الذين يستفيدون من هذا ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزُّمَر:١٦]؛ إن لم يستفد منه أولئك وهم ليسوا أهلًا للاستفادة فسيستفيد منه عباده، ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

حتى في ذكر الله -عز وجل- لمثل هذه الأمور فيها مصلحة للمؤمنين، إن الله -عز وجل- يخوّف بها عباده، ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [الزُّمَر:١٧]، هذا الفريق الثاني. ذكرنا أن هذه السورة فيها تقابل، أنواع من التقابل بين الفريقين، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ، الطاغوت صيغة مبالغة مثل الرحموت، الطاغوت مبالغة في الطغيان، وأنواع الطواغيت كثيرة، كما ذكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، منهم من رضي أن يُعبد من دون الله -عز وجل-.

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ [الزُّمَر:١٧]، المراد بالطاغوت هنا: كل من عُبد غير الله -عز وجل-. ﴿ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ ﴿الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الزُّمَر:١٧]؛ لم يعبدوا الطواغيت، بل عبدوا الله -عز وجل-، مالوا إلى عبادة الله -عز وجل-، لهم البشرى، لهم ماذا؟ ﴿الْبُشْرَى﴾. هذه البشرى مطلقة، وهذه البشرى في كل لحظة، وفي كل محطة، لهم البشرى في الدنيا، ولهم البشرى عند الموت، لهم البشرى عند البعث، لهم البشرى يوم القيامة في جميع محطاتها، ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ هكذا أُطلقت، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزُّمَر:١٧]، بشرهم بهذه البشرى، وذكرهم أيضًا أن من أسباب هذه البشرى ما ذكر هنا: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزُّمَر:١٨]، القول المراد به هو "القرآن". وكذلك المراد به هو حديث النبي ﷺ.

ذُكر في خمسة آيات من القرآن الكريم إطلاق **"القول"** على القرآن، فالمراد به أنهم يستمعون القرآن فيتبعون أحسنه؛ لأن القرآن فيه أخبار، وفيه أوامر، فيه أخبار عن الأبرار وعن المتقين، فمن اتبع، ومن أخذ خطا الأبرار فهو الأحسن، والذي اتبع وكان مثل المتقين -مثلًا- فهو بين الحسن والأحسن، وكذلك في الأوامر؛ من اكتفى بالواجبات فهذا حسن، ومن تعدى إلى فعل المستحبات أيضًا فهذا أحسن، هذا تفسير.

وكذلك في الأحكام، في المقاضاة مثلًا، فلانٌ لك عليه دين، إن عفوت عن هذا فهذا أحسن، وإن تطلبته بأسلوبٍ حسن فهذا حسن، وهكذا، كل شيء فيه حسن وأحسن؛ الأحسن هنا في مقابل الحسن على هذا، إذا كان المراد بـ "القول" هو القرآن، فالأحسن يقابله ماذا؟ الحسن، وهو بين الحسن والأحسن، وهو يختار الأحسن. وهذا هو دأب الصالحين الأبرار المتقين، وهم دائمًا في تنافس، دائمًا يريدون الأحسن.

أيضًا معنى آخر ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾، يستمعون إلى الأقوال، ويميزون بينها، القول؛ الألف واللام للاستغراق، هم يستمعون للأقوال ويميزون بينها، فيتبعون الأحسن بالنظر إلى الدليل، بالنظر إلى موقعه من الدين، وبالنظر إلى حُسنه شرعًا، لماذا؟ لأنهم أولو الألباب؛ الله -عز وجل- أعطاهم عقولًا، بهذه العقول يزنون بين الأقوال.

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزُّمَر:١٨]، كلا القولين صحيح، هذه الآية من الآيات التي استدل بها الصوفية على جواز استماع الأغاني، سبحان الله، هل هذا من اتباع الأحسن؟ وكما قال **ابن القيم** -رحمه الله-: أين هذه من كلام الله -عز وجل-؟ سبحان الله. "الذين يستمعون القول" أي: يستمعون إلى الأغاني -هكذا يقولون-، طبعًا له رد طويل من أكثر عشرة أوجه على هؤلاء، ومثل هذه الأقوال لا تحتاج إلى رد، ذكره يكفي لشناعته، ولبعده عن مرام كتاب الله -عز وجل-.

إذًا القول يأتي بالتفصيلين.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ [الزُّمَر:١٩]، هذا إخبار عن الفئة الأولى، ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾: ثبتت عليه كلمة العذاب، حقت عليه كلمة العذاب، لماذا؟ هذا الذي اختاره هو.

﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ﴾ [الزُّمَر:١٩]، لا يمكن أن تنقذه من النار؛ لأن هذا الذي قُدِّر عليه، والتقدير تابع لاختياره، هذا الذي اختاره، وهذا الذي طبعه الله –عز وجل– عليه.

بعد أن بيّن الله –عز وجل– ما عليه هذه الفئة من العذاب، ومن الخسران يذكر ما عليه المتقون المؤمنون، الذين يتبعون الأحسن، ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [الزُّمَر:٢٠]، **كلمة (لكن) هنا:**

- بعضهم قالوا: **للاستدراك**.

- وبعضهم قالوا للانتقال، **لمجرد الانتقال**.

الذين قالوا للاستدراك؛ قالوا: هذا استدراك بعد ما ذُكر هذا الحكم، و**القرطبي** –رحمه الله– قال: هذا لمجرد الانتقال، وهذا أقرب، والله أعلم.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزُّمَر:٢٠]؛ لاحظ المقارنة هنا، وهناك طبقات من النار، تحتهم طبقات، وفوقهم طبقات من النار، وهنا: لهم غرف من فوقها غرف.

﴿مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [الزُّمَر:٢٠]؛ ﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾ الغرف التي فوق مبنية، مثلما تُبنى الغرف التي تحت، مبنية بإحكام، من أساسها، مثلما تكون الغرف تحت؛ هذا فيه بيان أن تلك الغرف ليست مثل الغرف التي في الدنيا، التي تكون مبنية على الغرف التي تحت، وإذا انهارت تنهار كلها، تلك الغرف مبنية بإحكام.

ولاحظ هذه المقابلة، وهذا التقابل –كما قلنا– كثير، ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزُّمَر:٢٠].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الزُّمَر:٢١]، هذا أيضًا دليل من الأدلة التي ذكرها الله –عز وجل–؛ لنستدل به لإفراده بالعبودية والألوهية، ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ طبعًا هذه المظاهر لكثرتها، ولأننا ننظر إليها دائمًا صارت عادية، والحواس أصابها شيء من الجمود، والله –عز وجل– يذكرها دائمًا، ويذكرنا أن ننظر إليها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الزُّمَر:٢١]، مجرد نزول الماء من السماء هذا غريب، ما نفكر فيه، المطر لمَّا ينزل بغزارة نظن أن هذا نهرٌ يجري، هذا ينزل من فوق، كيف أن الله –عز وجل–

خلقه فوق؟ حتى على التفسير الذي الآن من أكسجين وهيدروجين، هذا كله تفسير ظاهر، كيف خلقه الله -عز وجل-، وكيف هيأ له هذا الجو المناسب الذي يخلق فيه هذا الماء! الماء ينزل من فوق.

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ﴾ [الزُّمَر:٢١]؛ أجراه، ﴿يَنَابِيعَ﴾ أي: في شكل ينابيع، ينابيع جمع ينبوع في الأرض، نحن إذا أردنا ماءً في أي مكان نحفر بئر، ونطلع الماء، ولا نفكر من أين هذا الماء، أليس كذلك؟ الله -عز وجل- لما أنزله، هكذا سلكه في الأرض، واحتفظ به هناك، أينما أردناه نطلعه بالوسائل التي ييسرها الله -عز وجل-.

ماذا يقول في سورة الحجر؟

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢]، الله -عز وجل- خزَّنه، هذا مخزن ومحفوظ، ونحن نطلّعه، ونقول: حفرنا، وطلّعنا، وما ندري أنه مخزّنٌ لنا، الله -عز وجل- يذكرنا بهذه النعم.

﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ [الزُّمَر:٢١]، هذه معجزة أخرى يذكرنا بها الله -عز وجل-، وقد ذكر من هذا أنواع، الماء، هذا الماء تخرج منه ثمرات مختلف ألوانها، تخرج منه الزروع مختلفٌ ألوانها، ومختلفٌ أيضًا طعمها، هذا كله والماء، ماذا يقول في بداية سورة الرعد؟ ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]، -سبحان الله- الماء واحد، هذا طعمه يختلف، وهذا طعمه يختلف، وأنت حلل الماء الذي تُسقى هذه كلها به نفس الشيء، في مواده، وفي تركيبته نفس الشيء، ليست هناك عروق تختلف، لا، نفس الماء، والأنواع تختلف، ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾.

من هذا ما ذكره الله -عز وجل- هنا: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ [الزُّمَر:٢١]، هذا أرز، وهذا ذرة. ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ [الزُّمَر:٢١]، هنا يشير الله -عز وجل- إلى ظاهرة يشير إليها أيضًا كثيرًا، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾؛ يهيج أي: ييبس، هذا الذي كان أخضر في نضارته وفي خضرته، بعد ذلك يهيج، أي: ييبس، فتراه مصفرًا بعد ما كان أخضر، اختلف اللون، واختلفت الأحوال.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ [الزُّمَر:٢١]، أي: يفتته، بعد ما كان على ذلك المنظر البهيج. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾؛ أولو الألباب يتذكرون بمثل هذه الأمور، وهكذا حياتنا: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ

ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم:٥٤]؛ وهكذا الإنسان، لما يكون شابًا ينسى نفسه، ويظن أن هؤلاء الشيبان هذا خاصٌ بهم، أما هذا فسيبقى شابًا، هكذا كنا نظن، أليس كذلك؟

ثم بعد ذلك، ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾، اختلفت، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١].

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [الزُّمَر:٢٢]؛ الله –عز وجل- يقارن بين نزول الماء، وكيف أن الأرض تستفيد منه، وبين نزول القرآن، وكيف أن الناس يختلفون في موقعهم منه، ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧].

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزُّمَر:٢٢] هل هذا مثل ذلك الذي أشار إليه في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾؟ لا يستويان، هذا وهذا لا يستويان؛ لأن هذا الثاني الذي لم يُذكر حاله، وحاله معروف بالمقابلة: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٢٢].

﴿مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ذكر المفسرون أن معناه قست قلوبهم عن استماع ذكر الله –عز وجل-، قلوبهم قست عن استماع ذكر الله –عز وجل-، لم تطق هذا، لم تُذعن، ولم تطوِّع قلوبها للاستماع لذكر الله –عز وجل-، فبقيت قاسية، ﴿أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الزُّمَر:٢٢].

بعد ذلك يذكر الله –عز وجل- أفضل وسيلة للقضاء على قسوة القلوب؛ لأن أمر القلوب شيء غريب، وكما ذكر النبي ﷺ: «ألا في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله»، هذه المضغة، هذه إذا صلحت صلح الجسد كله، فما هو الدواء لقسوة القلوب؟ هذا الذي ذكره الله –عز وجل-: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزُّمَر:٢٣].

الله –عز وجل- وصف كتابه هنا بأوصافٍ عديدة، منها أنه أحسن الحديث، هل يمكن أن يكون هناك كلامٌ أحسن من كلام الله –عز وجل-؟ لا يمكن. أحسن الكلام كلامُ الله –عز وجل-، وأفضل ما أُنزل من كلام الله –عز وجل- هو هذا القرآن، إذًا هو أحسن الحديث لفظًا ومعنىً، أحسن الحديث ليس

لفظًا فقط، وليس معنىً فقط، إنما هو لفظًا ومعنىً، فهو في ألفاظه في غاية البلاغة والفصاحة، أما معانيه فهي أجلُّ المعاني، كل ما يأمر به هذا القرآن فهو أجلُّ المطالب؛ فهو أحسن الحديث لفظًا ومعنىً.

أين هذا ممن يقول: أن أكثر ما في هذا القرآن –وخاصةً ما يتعلق بأسمائه وصفاته– متشابه، القرآن أحسن الحديث.

- ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ هذا وصفٌ آخر.
- ﴿مَّثَانِيَ﴾ هذا وصفٌ آخر.
- ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ هذا وصفٌ آخر.
- ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ هذا وصفٌ آخر.

لاحظوا هنا، ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾، هذا كتاب؛ لأنه يُكتب، ولأنه مكتوب، وهو مكتوب في اللوح المحفوظ، ومكتوب أيضًا يُكتب، يُحفظ بالكتابة؛ فلذلك هو كتاب، كتاب بمعنى مكتوب. متشابهٌ في ماذا؟ نحن ذكرنا أنه أحسن الحديث لفظًا ومعنى، وهو متشابهٌ في هذا الحُسن في الألفاظ والمعاني، متشابه، مع أنه نزل في خلال ثلاثٍ وعشرين سنة، لا تكاد تميِّز بين أوله وآخره، كله متشابه في الحُسن، متشابه في الحُسن في اللفظ وفي المعنى، وهذا التشابه هو التشابه العام الذي يعم القرآن كله، متشابهٌ في الحسن، متشابهٌ في الفصاحة والبلاغة، ومتشابهٌ في جلالة معانيه، وجزالة ألفاظه، هذا هو التشابه العام.

وهناك تشابهٌ عام، وهناك إحكامٌ عام؛ ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، كله محكم، هذا إحكامٌ عام، وتشابهٌ عام.

وهناك تشابهٌ خاص، وإحكامٌ خاص، الذي ورد في بداية سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، والمتشابه هناك ما قد يشتبه على بعض الناس، ما قد يحتاج إلى تفسير، هذا هو المتشابه، هذا الذي يحتاج إلى تفسير، هذا الذي يحتاج إلى إرجاعه إلى المحكم يجعله أولئك أصلًا يُرجعون إليه المُحكم، لماذا؟ ابتغاء الفتنة؛ عندهم هدف، يريد أن يصل إليه.

أما التشابه هنا –كما قلنا– تشابهٌ عام، وهذا يعم الكتاب كله.

﴿مَّثَانِيَ﴾ هذا القرآن من وصفه أن مضامينه تتكرر، وليس هناك تكرار مجرد؛ وإنما التكرار لفائدة، تجد مثلًا قصة موسى –عليه السلام- ذُكرت في كم سورة؟ في سورة الأعراف فقط قصة موسى –عليه السلام- مساحتها أكثر من سورة يوسف كلها، وكُررت، لماذا؟ لمناسبةٍ في كل مكان، ﴿مَّثَانِيَ﴾.

وصف القرآن مثلًا، هذا الموضوع الذي نحن نتحدث عنه، كُرر هذا في القرآن هنا وهنا، وفي كل موضع فائدة جديدة، وهكذا تترسخ المعاني.

ذكر الشيخ ابن السعدي هنا، عند هذه الآية، يقول: لأجل أن هذا التكرار مطلوب، **يقول: (لأجل هذا لم أُحل إلى موضع من موضعه)**؛ لم أقل مثلًا في موضع: تفسير هذه الآية في المكان الفلاني؛ في كل موضع هو فيه تفسيرًا؛ لأن هذا هدف، طبعًا هناك تفاسير فيها إحالة، وهذا جيد، وهذا جيد، مثل «**أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن**» تجده، وأكثر التفاسير تفسّر في مكان ثم تحيل إليه في بقية المواضع.

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزُّمَر:٢٣]؛ الاقشعرار هو الانقباض، وهذا الانقباض يحصُل بسبب الخشية التي تكون في القلب، خشية القلوب هي السبب في هذا الاقشعرار، ولكن الاقشعرار يظهر في الجلود؛ ولذلك خُصت بالذكر هنا: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزُّمَر:٢٣].

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ﴾ [الزُّمَر:٢٣]؛ متى يحصُلُ هذا الاقشعرار؟ لما يسمعون آيات الوعيد والخوف تقشعر جلودهم، ثم تلين جلودهم لما يسمعون آيات الرجاء والوعد.

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٢٣]؛ فهم بين الخوف والرجاء دائمًا، هم مع هذا القرآن بين الخوف والرجاء.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك التأثير، أو الإشارة إلى القرآن، ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزُّمَر:٢٣].

وصلى الله، وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

حياكم الله أيها الأحباب الكرام في هذا المجالس الثالث من مجالس التفسير لشيخنا فضيلة الشيخ الدكتور محمد النورستاني حفظه الله فليتفضل القارئ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ
﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ
وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ
عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ
وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ
بِعَزِيزٍ ذِي ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ
يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦۖ
وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي
مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ
ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ

ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾[الزمر: ٢٤ – ٤٧].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم. أما بعد...

بعد أن بين الله -عزَّ وجلَّ- مكانة كلامه، وأنه علاج لقسوة القلوب، ووصفه بما وصفه في قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾[الزمر:٢٣]، وبعد أن ذكر قبله الفريقين، الذين آمنوا والذين كفروا، ذكر في هذه الآية في قوله: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[الزمر:٢٤]، ذكر هنا سوء عاقبة الكفار، مما سيلقونه هناك هذا الذي ذكره هنا، ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي﴾[الزمر:٢٤]، هنا أيضًا مقابلة بين الفريقين، ذكرنا أن المقابلة هذه تكررت هنا في هذه السورة، هنا أيضًا مقابلة ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[الزمر:٢٤]، الطرف الآخر لم يذكر؛ لأنه قد عُلم بما سبق وبما سيأتي قد عُلم الطرف الثاني؛ لأنه هو آمنٌ يوم القيامة، هل هذا مثله؟ هذا الطرف وهذا الفريق بلغ من سوء عاقبته أنه لم يجد ما يتقي به العذاب إلا وجهه.

والحال أن الإنسان يتقي بكل شيء ليحفظ وجهه، وجهه هو الذي يحفظه ويفديه كل العظائم، هذا الفريق قد وصل به سوء حاله وسوء عاقبته أنه يتقي بوجهه سوء العذاب لماذا؟ لأن الأغلال في أعناقهم؛ لأن هذا الذي يمكنه نسأل الله أن يحفظنا بحفظه، وأن يلطف بنا وبمن يسمع، هل هذا مثل الذي هو آمنٌ هناك؟ مع هذا سيقارن لهم ما قيل للظالمين ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾[الزمر:٢٤]، هذا الذي تلقونه الآن تذوقوا هذا من باب التهكم ذوقوا ما كنتم تكسبون، ألم تكونوا تنتظرون هذا؟ هذا ما سيلقون.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ . فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر:٢٥:٢٦]، هذا الخطاب لجميع الكفار، ولكنه في الدرجة الأولى لكفار قريش، والذين يكذبون من؟ يكذبون أشرف الرسل وأكرم الرسل وأفضل الرسل، بل يكذبون أفضل بني آدم على الإطلاق، محمد ﷺ فيقول له الله -عزَّ وجلَّ- يذكرهم: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾[الزمر:٢٥]، كانوا يظنون أنهم سيحفظون أنفسهم بهذا أو ذاك، إلا أن العذاب فاجأهم وبغاتهم من حيث لا يشعرون، ﴿**فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[الزمر:٢٦]، طيب ما الذي ستنتظرون أنتم لما تكذبون هذا النبي وهذا الرسول، تتوقعون أن يكون مصيركم أفضل من مصيره بعد أن تكذبون هذا الرسول؟ نفس المصير.

ثم يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[الزمر:٢٧]، هذا القرآن هذا إذًا فيه بيان صدق هذا القرآن، وبيان مكانته، وبيان أن فيه كل شيء، يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**﴾[الزمر:٢٧]، هذه الأمثال كلها لماذا؟ لترجع إلى الحق لعلهم يتذكرون،﴿**قُرآنًا**﴾[الزمر:٢٨] هذا أيضًا هذه أيضًا صفة لهذا القرآن ﴿**قُرآنًا عَرَبِيًّا**﴾[الزمر:٢٨]، هذا القرآن من مكانته أنه نزل بهذه اللغة، وهذه اللغة قد شرفت بهذا القرآن، من شرف هذه اللغة أنها نزل بها القرآن.

﴿**قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ**﴾[الزمر:٢٨]، العِوج بكسر العين تستعمل للمعاني، والعَوج بفتح العين يستعمل للمباني للأعيان، ﴿**غَيْرَ ذِي عِوَجٍ**﴾[الزمر:٢٨]، ليس فيه أي عوج لا شبهات ولا شكوك ولا انحراف ﴿**لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾[الزمر:٢٨]، لماذا؟ لأن المقصود أن يحصلوا على التقوى، والتقوى سيحصل به لأنه واضحٌ في معانيه واضحٌ في ألفاظه، ليس فيها أي التباس، وليس كما يقول بعض أهل البدع أن غالبه متشابه أعوذ بالله، يقولون أن غالبه وخاصة ما يتعلق بالله -عزَّ وجلَّ- أكثرهم متشابهًا هكذا يقولون.

﴿**قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾[الزمر:٢٨]، ثم ضرب الله -عزَّ وجلَّ- مثلًا للمشرك، وكما ذكرنا في هذه السورة يعني قضية التوحيد من بدايتها إلى نهايتها هي القضية التي تم تناولها أكثر، وهنا مثل للمشرك ومثل غريب، ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ**﴾[الزمر:٢٩]، سلمًا أي: سالمًا للرجل، وهناك شخصان شخص فيه شركاء متشاكسون، وهذا عبدٌ وقد تملكه عدد من الأشخاص، وعليه أن يرضيهم كلهم، وحالهم أنهم متشاكسون، متضادون، متضاربون، لا يتفقون على شيء، ولا يمكنهم أن يتفقوا على شيء؛ لأنهم متناقضون فيما بينهم، وهذا

يريد شيئًا وهذا يريد شيئًا، هذا إذا أراد شيئًا الثاني يخالفه؛ لأن هنا مشاكسة مخالفة بينهم، فماذا ستكون حاله هذا المسكين؟

أولًا: سيتعب في التعرف على مراضيهم، وما الذي يرضي هذا؟ وما الذي يرضي هذا؟ وما الذي يرضي هذا؟ هذه المرحلة الأولى؛ لأنه عبد.

المرحلة الثانية: أن يوفي ولا يمكنه أن يوفي، إذا أرضى هذا سيغضب هذا، إذا والعكس وهذه حاله، بينما شخص آخر لرجل واحد، وقد عرف ما الذي يريده، هذا مذهب الموحد، الله –عزَّ وجلَّ– أرسل إليه الرسل وأنزل له الكتب، وعرفه ما يريده، عرف (١٦:٤٠) وعرفه كيف يصل إليه عرفه، وعرفه لما يصل إليه ما الذي ينتظره؟ كل شيء عنده واضح، أما ذاك فهو سيتعب في التعرف، وسيتعب في تحقيق مراضيهم أيضًا، لا يمكنه أن يستريح، هو بينهم في هذه الحالة شركاء متشاكسون، وهكذا المشرك يذهب إلى هذا القبر، ويذهب إلى ذلك القبر ومهما يدري لأن هذاك لا يخاطبه، يقدم له القرابين يذبح لهذاك، ويتوسل إلى هذا، مع ذلك يبقى أيش؟ يبقى في قلبه ظلمة تلاحقه، مثل المثال الذي ضربه الله –عزَّ وجلَّ– للمشرك في سورة الحج ﴿**فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ**﴾[الحج:٣١]، الذي يخر من السماء هل يستطيع أن يحدد مصيره، يعني سأقع هنا أو هنا يستطيع؟

﴿**أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[الملك:٢٢]، الذي يمشي مكبًا على وجهه لا يرى ولا يختار، قد يلقي نفسه في المهالك ما يدري، وهكذا هذا المشرك فكأنما خر من السماء، وهكذا المشرك سبحان الله حاله حال الغريب، يلجأ إلى الجميع مع ذلك لا يدري ما الذي حققه؟ وما الذي لم يحققه؟ ومن الذي أرضاه؟ ومن الذي...؟ لا يزال يعتقد أن جميع الأولياء لم يرضوا عنه وهكذا حال المشرك.

﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا**﴾[الزمر:٢٩]، أي: سالمًا ﴿**لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾[الزمر:٢٩]، في عدد من الآيات بعد ذكر الأمثل الله –عزَّ وجلَّ– يحمد نفسه لماذا؟ لأن الحق واضح، الحمد لله لأن الحق واضح، ليس هناك خفاء، فصفات الكمال كلها لله –عزَّ وجلَّ– ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾[الزمر:٢٩].

ثم يقول الله –عزَّ وجلَّ-: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر:٣٠:٣١]، أولئك المشركون كان من غريب أمرهم أنهم كانوا يدعون على النبي ﷺ، كانوا يدعون على النبي ﷺ كانوا يقولون: اللهم نجنا منه، فكنا منه! يقول الله –عزَّ وجلَّ- أنت ستموت وهم أيضًا سيموتون، ولم تستفيدوا من موته، أنتم أيضًا ستموتون، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾، هذا تأكيد لقضية التوحيد، حتى لا يُظن أن النبي ﷺ يفترق ويختلف عن غيره في قضية الموت، لا؛ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ لا محالة ﴿وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، هذه القضية ليست هي لا ما بعده.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[الزمر:٣١]، كلكم ستموتون، ثم بعد ذلك ستختصمون، ذكر الله –عزَّ وجلَّ- بعض ما سيظهر هذه الخصومة، وبعض نتائج هذه الخصومة ذكرها هنا، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ . وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[الزمر:٣٢:٣٣]، بالنسبة للحق الناس يختلفون، أو الناس على صنفين على قسمين في موقفهم من الحق:

بعض الناس هو من أهل العلم، فيعرف الحق يصدقه، وفيه تواضع أيضًا لذلك يقبل الحق من غيره، فيكون قد جمع الوصفين العلم والتواضع، والذي جاء بالصدق؛ لأنه يعلم بهذا الصدق، من الذي يعلم بهذا الصدق؟ الذي على علم به، طبعًا الذي جاء بالصدق ينطبق أول ما ينطبق على النبي ﷺ، ثم بعد ذلك ينطبق على جميع أهل العلم، الذين يقررون ويدعون إلى كتاب الله –عزَّ وجلَّ-، وإلى سنة نبيه ﷺ، هذا قد جاء بالصدق؛ لأن الكتاب والسنة كله صدق ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾، سمع أن فلانًا يدعو إلى الكتاب والسنة يصدق به.

بعض الناس نعم هو من أهل العلم لا شك عنده علم، وبل هو من المتبحرين فيه، إلا أنه فيه شيء من الكبر والاستكبار، ولذلك إذا جاءه الحق من غيره لا يقبل، هذا موقفه من الحق موقفٌ ناقص ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾[الزمر:٣٣]، ولذلك لما تنظر إلى مواقف الفرق المختلفة، تجد من أهل البدع ما هو عنده، أنت لما تقرأ له تجد عنده من العلم الغزير، ولكنه لا يقبل من غيره وخاصة إذا كان ممن يناصبه الخلاف لا يقبل منه، فلذلك هم ماذا يقولون لأهل السنة لما يقرأ له لما يؤتى له بآية؟ آيتكم هذه تأويلها كذا وكذا، حديثكم هذا (٢٣:٥٥) هذا كلام الله –عزَّ وجلَّ-.

إذًا فمن أظلم في الخصومة، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾[الزمر:٣٢]، كذب على الله نسب إليه الشريك، ونسب إليه كذا، وكذب على الله أيضًا كما ذكر المفسرون لم يصدق ما بين الله -عزَّ وجلَّ- ما بينه عن نفسه عن أسمائه وصفاته، الله -عزَّ وجلَّ- يقول يثبت لنفسه كذا، وهذا يقول لا، إذًا يدخل في هذا كما ذكر بعض المفسرين، ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾[الزمر:٣٢]، المثوى بمعنى المقام ثوى بالمقام أي أقام فيه، ثوى بالمكان أي أقام فيه، مثوى أي: مكانًا مستقرًا ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾[الزمر:٣٢]، هذا الفريق (٢٤:٥٨) سيتنظره، وهذا كافر كذب بالصدق وكذب على الله، إذًا هو كافر، ومثوى الكافرين ماذا؟ جهنم.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[الزمر:٣٣]، أما المتقون هم يجمعون بين الوصفين هم أهل العلم، وإن جاءهم الحق من طرف آخر يقبلونه، يجمعون بين العلم والتواضع، لذلك من كان عالمًا ولا يقبل الحق من غيره هذا ليس من التقوى في شيء، هذا عنده كبر عنده استكبار ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾[الزمر:٣٣]، أي اختلف المفسرون هنا ذكروا أقوالًا على من ينطبق هذا جاء بالصدق هو النبي ﷺ وصدق به أبو بكر، وبعضهم قالوا: جاء بالصدق هو النبي ﷺ وصدق به هو علي بن أبي طالب، على كل حال الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة هم أولى الناس وأحرى الناس دخولًا في هذه الآية، في قوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾[الزمر:٣٣]، هم أولى الناس وأحرى الناس دخولًا فيه، وكذلك جميع الدعاة إلى الله -عزَّ وجلَّ- يدخلون في هذا.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[الزمر:٣٤]، هذا فيه إجمال لهم ما يشاءون عند ربهم هكذا إطلاق سبحان الله، لو قيل لأحدنا الآن ما الذي تريده الآن؟ قدم لهم ما يشاءون، الذي يشاءونه الذي يتمنونه، كل ما يتمنونه حقًا، بل سيكون لهم ما لم يخطر بباله، ليس (٢٦:٥٩) ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[الزمر:٣٤]، هذا مما يدل على أن التقوى والإحسان يأتي في القرآن بمعنى واحد، أولئك هم المتقون، ذلك جزاء المحسنين، وله نظائر كثيرة فيه.

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾[الزمر:٣٥]، الله -عزَّ وجلَّ- هنا يتحدث عن المتقين وعن المحسنين، والمحسن والمتقي هو الذي حقق الإيمان والإسلام، هو في أعلى درجات الدين، مع ذلك طبعًا هذه الفائدة من شيخ الإسلام مع ذلك ذكر الله -عزَّ وجلَّ- ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي

عَمِلُوا﴾[الزمر:٣٥]، وهذا يدل على أنهم ليسوا معصومين، حتى هؤلاء ليسوا معصومين، ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾[الزمر:٣٥]، عن من؟ عن المتقين وعن المحسنين، إذًا ليسوا معصومين، ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾[الزمر:٣٥]، الأعمال التي نعملها ثلاثة أقسام: الأسوأ، والأحسن، وما ليس أسوأ ولا أحسن، الأحسن كلها حسنات أعمال صالحة، والأسوأ الأعمال السيئة، وما كان بينهما المباحات.

إذًا ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾[الزمر:٣٥]، أي: لهم أعمال سيئة والله -عزَّ وجلَّ- يكفرها لهم، لا يدخلها في الميزان أصلًا، هذه لا تدخل في الميزان أصلًا، فما الذي بقي؟ بقي الحسنات ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الزمر:٣٥]، أحسن الذي كانوا يعملون هي الحسنات كلها، إذًا الله -عزَّ وجلَّ- يتغاضى ويغفر السيئات كلها، ويجزيهم بالحسنات. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[الزمر:٣٦]، طبعًا المعركة هنا مع المشركين، وهكذا في نعم.

الطالب: ...

الشيخ: لا هذاك مجال وهذا مجال، هنا الأحسن هو الحسن، والأسوأ هو السيئة.

الطالب: ...

الشيخ: أحسن ما عملوا هي الحسنات كلها، المشركون دائمًا يهددوا، وخاصة أصحاب القبور دائمًا يهددوا، ترى سيصيبك الولي فلان بكذا والكذا والكذا الفلاني بكذا، يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[الزمر:٣٦]، المفروض أن تكون عبده، ترى تحقيق هذا ليس سهلًا أن تكون عبده، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[الإسراء:١]، تكون عبد الله تعبده ولا تشرك معه، إذا كنت عبده وحققت العبودية، الله -عزَّ وجلَّ- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[الزمر:٣٦]، أيش الجواب؟ أيش الجواب؟ ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾[الزمر:٣٦]، في جانب الله -عزَّ وجلَّ-، في جانب من دونه كلهم يخوفونك بالذين من دونه، وهذا كثير الآن نحن نسمع، الولي الفلان كذا وكثير هذا عند المشركين.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾[الزمر:٣٦:٣٧]، والعزيز وقلنا صفة العزة تجمع بين القوة والامتناع والقهر، ﴿ذِي انْتِقَامٍ﴾[الزمر:٣٧].

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[الزمر:٣٨]، لا زالنا أيضًا في قضية التوحيد، ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[الزمر:٣٨]، إذا سألتهم من خلق السموات والأرض، سيقولون الله –عزَّ وجلَّ– هو الذي خلق السموات والأرض، طبعًا هم يعترفون بهذا، إذًا هذا الدليل يقال عنه الدليل الاعترافي، هم يعترفون به، ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ﴾[الزمر:٣٨]، طبعًا أَنَّث معبوداتهم، وذكر المفسرون أن هذا التأنيث المقصود به أن: أنتم تعبدون من يستحق هذا الوصف، ﴿هَلْ هُنَّ﴾[الزمر:٣٨]، أيضًا أسماء معبوداتهم اللات والعزى، ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾[الزمر:٣٨]، طبعًا هذا السؤال يتعلق بالربوبية، نحن نقول دائمًا أن المشركين كانوا يؤمنون بالربوبية، ولكن نضيف قيد بالجملة، كانوا مؤمنين بربوبية الله –عزَّ وجلَّ– أو كانوا موحدين في الربوبية في الجملة، لماذا نقول في الجملة؟ لأجل ما عندهم من الخلل حتى في الربوبية، عندهم خلل في الربوبية، مع أنهم يؤمنون بالربوبية عمومًا، لو لم يكون عندهم خلل في الربوبية؛ لكان توحيدهم فيه الألوهية توحيدًا خالصًا، الآن هم يعترفون أن الله –عزَّ وجلَّ– هو الذي خلق السموات والأرض، وهو الذي يرزقهم، وهو الذي يدبر، مع ذلك يرون شيئًا من التصرف لأولئك، شيئًا من أين جئتم بهذا؟ كيف استثنيتم هذا التصرف؟

يقول: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾[الزمر:٣٨]، هل هم يضرونكم أو ينفعونكم؟ ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[الزمر:٣٨]، ما هو الجواب؟ لم يذكر هنا، الجواب عندهم نعم عندهم شيء من النفع، وعندهم شيء من الضر، وهذا من تناقضهم الله –عزَّ وجلّ– يبرز هنا تناقضهم، أنتم تعترفون بالربوبية مع ذلك كيف أعطيتموهم شيئًا من أوصاف الربوبية كيف؟ إذًا الذين تدعونهم لا يملكون شيئًا، ولذلك فحسبي الله عليه يتوكل المتوكلون.

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[الزمر:٣٩]، هذا بعد أن تدعو الناس إلى التوحيد، وتذكر لهم الأدلة العقلية والنقلية، وبعد ذلك هذا الذي تقول لهم ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾[الزمر:٣٩]، على مكانتكم أي: عن حالتكم التي أنتم عليها، كونوا على حالتكم، ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾[الزمر:٣٩]، أي: أنا على الحالة الذي أدعوكم إليها ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[الزمر:٣٩]، سننظر ما هو

مصيري؟ وما هو مصيركم؟ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[الزمر:٣٩:٤٠]، ننظر ما هو مصيري؟ وما هو مصيركم؟

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[الزمر:٤١]، هذا هو الوصف الذي عليه الداعية، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾[الزمر:٤١]، لأنه يتبع ويدعو إلى ما يدعو إليه النبي ﷺ، فهو دائمًا على الحق ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾[الزمر:٤١]، يقول الله –عزَّ وجلَّ– أنت لست وكيلًا عليهم، تحفظ عليهم أعمالهم، وتحاسبهم، وتجازيهم عليها، لا هذا ليس شأنك، الله –عزَّ وجلَّ– هو الوكيل عليهم، هو الذي يحاسبهم، هو الذي يجازيهم، هو الذي يحفظ عليهم أعمالهم، أما أنت فليس لك إلا البلاغ.

إذًا كل شيء بيد الله –عزَّ وجلَّ–، هو المتصرف في الكون، ومن تصرفه هذا الذي ذكره الله ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[الزمر:٤٢]، من تصرفه ومن تحكمه على الناس أحياء وأمواتًا إحياء وإماتة ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الزمر:٤٢]، ذكر الله –عزَّ وجلَّ– هنا في هذه الآية أنه يتوفى الأنفس وفاتين: وفاة الموت أرجو التركيز معي ﴿يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ﴾ والأنفس هنا المراد بها الأرواح، الأنفس المراد بها أولًا الأرواح، يعني النفس أحيانًا تأتي بمعنى الروح، وأحيانًا تختلف عنها، وهنا النفس المراد بها الأرواح ﴿يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ﴾ أي: يقبضها يخرجها.

﴿يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، ذكر هنا وفاتين: وفاة بالموت ووفاة بالنوم، الوفاة بالموت اللي هو الوفاة الكبرى، الوفاة بالنوم هي الوفاة الصغرى، والله -عزّ- وجلَّ- أطلق على النوم أطلق عليها الوفاة في آية أخرى أيضًا ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾[الأنعام:٦٠]، إذًا أطلق هنا ذكر هنا وفاتين: وفاة بالنوم ووفاة بالموت، ثم ذكر أن هناك نفسٌ ممسكة ونفسٌ مرسلة، أن هناك نفسٌ ممسكة ونفسٌ مرسلة أرجو التركيز معي.

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ﴾[الزمر:٤٢]، إذًا هناك نفسٌ ممسكة، ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى﴾[الزمر:٤٢]، وهناك نفسٌ مرسلة ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[الزمر:٤٢]، هذه نفس التي أجلها لم يأت لم يحين بعد يرسلها ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[الزمر:٤٢]،

أي: إلى وقت انقضاء أجلها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الزمر:٤٢]، هل الله –عزَّ وجلَّ- هنا يتحدث عن نفسين أو ثلاثة؟ هذه المسألة فيها قولان:

القول الأول: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، نقف هنا ونقول: أيضًا يتوفاها، ﴿يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، أيضًا يتوفاها واضح، يتوفى هذه ويتوفى هذه، وكما ذكر في بعض الآثار، وثبتت عن ابن عباس –رضي الله عنه- وذكر أيضًا بعض السلف من المفسرين، أن النفس الأولى والثانية، وهذه أحيانًا تلتقي ويكون بينها تحاور ويتحدثان، ثم تريد النفسان أن ترجع فما الذي يحصل؟ فيمسك التي قضى عليها الموت، التي قضى عليها الموت هي النفس الأولى التي ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، هي التي هنا، فيمسك التي قضى عليها الموت قديمًا هي ميتة واضح يمسكها، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، هذا ذكره شيخ الإسلام وغيره من المفسرين، وهذا أيضًا قولٌ صحيح في تفسير هذه الآية واضح يا مشايخ، إذًا فيمسك التي قضى عليها الموت، هذه هي النفس الأولى التي ذكرها الله –عزَّ وجلَّ- في قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[الزمر:٤٢].

وقولٌ آخر: أيضًا ذكره شيخ الإسلام، وذكر تلميذه أنه رجحه مع أني قرأت في كلامه، طبعًا تلميذه أكثر فهمًا لكلام شيخه، ذكر ابن القيم أن شيخ الإسلام رجح هذا القول: أن هناك ثلاثة أنفس، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، هذه نفس ذكرها الله –عزَّ وجلَّ- هنا، ثم لم يذكرها إلى آخر الآية واضح هذه نفس، ﴿واللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، هذه نفس وهذه التي توفيت كانت نائمة عند وفاتها مستيقظة وهذه الآن هي ميتة ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، هذه أيضًا يتوفاها الله –عزَّ وجلَّ- وهي تنقسم إلى نفسين، الآن الذي ينام له حالتان: إما أن يكون وقته قد حان، فيموت فيمسك التي قضى عليها الموت، وإما أن لا يكون كذلك، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى.

إذًا فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى الممسكة والمرسلة كلتاهما (٤٢:٥٧) واضح، والتي لم تمت في منامها، هذه تنقسم إلى قسمين:

قسم: جاء أجلها نامت وتوفت الوفاة الصغرى، ويلحقها الوفاة الكبرى انتهى أجلها.

وقسم: توفت الوفاة الصغرى وسترجع واضح.

هذا أيضًا ذكره شيخ الإسلام، وابن القيم –رحمه الله– ضعف هذا القول، ضعف هذا القول يقول: لأن فيه فيمسك التي ...هنا ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾، بينما في هذا القول الذي ذكرته، أن النفس النائمة فيها ما هي ستموت، يقول: هذا يدل على أنها لم تمت، فالقول الأول هو الذي رجحه، ثم أجاب أجابه وبنفسه عن اعتراضه على شيخه، وفي آخر كلامه كأنه يرجح القولين والله أعلم، على كل حال القولان يبدو لي أنها صحيحان، وأكثر المفسرين على القول الثاني، أن الممسكة والمرسلة كلتاهما، والتي لم تمت في منامها، كلتاهما النفس التي نامت، هذا الذي نام إما أن يكون أجله قد حان، فتحل به الوفاتان، وإما أن يكون غير ذلك، فتحل به الوفاة الصغرى ثم يرجع الله أعلم.

القصد من هذا أن الله –عزَّ وجلَّ– هو الذي يتحكم في الإنسان حيًا وميتًا، وإحياء وإماتة، حتى في نومه الله –عزَّ وجلَّ– هو الذي يتحكم، وهذا ذكر بعد قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾[الزمر:٤١]، الله –عزَّ وجلَّ– هو الذي يحاسبهم، وهو الذي يملك ذواتهم وصفاتهم.

ثم يقول الله –عزَّ وجلَّ-: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾[الزمر:٤٣]، هذه شبهة، هذه الشبهة ذكرت في أول السورة، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٣]، وما أكثر هذه الشبهة عند أهل البدع، شبهة الشفاعة، وشبهة الوسيلة دائمًا، هؤلاء يتوسلون وهؤلاء يشفعون، يقول الله –عزَّ وجلَّ-: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾، هؤلاء الذين تلجؤون إليهم وتدعونهم هل هم شفعاؤكم؟ يقول الله –عزَّ وجلَّ-: ﴿أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ﴾[الزمر:٤٣]، كيف صاروا شفعاء ﴿لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ﴾[الزمر:٤٣]، ولا يعقلون أي: أنتم لما تلجؤون إليهم ما يدرون عنكم، ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:١٤]، وكيف في بداية سورة الأحقاف؟ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[الأحقاف:٥]، لو يظل واقفًا إلى يوم القيامة: يا فلان يا فلان ما يدري عنه.

ثم ذكر الله –عزَّ وجلَّ– ظاهرةً عند المشركين وهي ظاهرة طريفة جدًا، غريبة وطريفة، وتراها عند... ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ﴾[الزمر:٤٥] ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤]، هذا رد عليهم، أم ترون أن هؤلاء سيشفعون؟ كيف سيشفعون؟ الشفاعة ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾، جميعًا هذا

فيه إشارة إلى أن الشفاعات كثيرة كلها يملكها الله -عزَّ وجلَّ- ليش؟ ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[الزمر:٤٤]، وهؤلاء الذين تزعمون أنهم شفعاء لن ينفعونك، لن ينفعوكم؛ لأن الشفاعة بيد الله -عزَّ وجلَّ-، والله -عزَّ وجلَّ- هو الذي يأمر فلانًا يشفع، ويُحَدُّ لفلانٍ أن يُشَفَّع، يأمر فلانًا أن يشفع، ويرضى عن فلان ليشفع فيه.

ثم يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾[الزمر:٤٥]، اشمأزت الاشمئزاز هو غاية الانقباض، غاية الانقباض، حتى يكون أثرها على الجلد يكون واضحة على الإنسان، ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[الزمر:٤٥]، سبحان الله المشركون إذا قلت له: ترى لا ينفعك غير الله -عزَّ وجلَّ-، لا بد أن توحده تفرده بالعبادة، البدوي وغير البدوي ووو وفلان وفلان، ترى لا ينفعون سبحان الله يغضبون، أما إذا ذكرت لهم فلان وفلان يفرحون، ظاهرة غريبة جدًا جدًا، ولذلك سيتهمونك أنت وهابي أنت يعني ما تقبل الكرامات، هذه كرامات ولا سخافات يعني التي تذكرها لهؤلاء؟ هذه كرامات.

هذا الوهابي لا يحترم النبي ﷺ لا يعتقد أنه لا يفعل شيئًا، لا يعتقد أنه يتصرف في الكون سبحان الله يعني شيء غريب ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[الزمر:٤٥]، نعم الله -عزَّ وجلَّ- ومعه فلان تجده يفرح، (٤٩:٥٢) أما في البداية كنت وهابي أما الآن لا. يستبشر يفرح كثير هذا، مجرد ما تدعو إلى التوحيد الخالص هو هذه، طبعًا هذه لغة المبتدعة الآن أنت وهابي فلان معناته وهابي، إذا كان الوهابي هو الذي يدعو إلى الدين الخالص إلى التوحيد الخالص أنا وهابي.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[الزمر:٤٦]، طبعًا بعد هذه المحاضرة والمناظرة والمخاصمة مع المشركين، تلجأ إلى الله -عزَّ وجلَّ-، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[الزمر:٤٦]، تتوسل الله -عزَّ وجلَّ- بأسمائه وصفاته، ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[الزمر:٤٦]، هذا دعاء وتوسل إلى الله -عزَّ وجلَّ- بأسمائه وصفاته، وفي

ضمنها رد عليهم أيضًا أنا أتوسل، أنا أدعو الله –عزَّ وجلَّ– وألجأ إليه، وأتوسل إليه بهذه الأسماء والصفات، أنت لما تدعو يا بدوي تدعوه بماذا يعني؟

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[الزمر:٤٧]، هم كانون يظنون أنهم على شيء، كانوا يظنون أنهم أن مصيرهم(٥١:٤٠) ولكن بدأ لهم من الله ما لم يكن يحتسبون، ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾[الزمر:٤٨]، السيئات المراد بها جزاء السيئات؛ لأن أعمالهم سيئة والجزاء عليها أيضًا سيء ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ﴾[الزمر:٤٨]، أحاط بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[الزمر:٤٨]

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ
أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (٤٩) قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمۡ
سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ (٥١) أَوَلَمۡ
يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٥٢) ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ
ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥٣)
وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (٥٤) وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ
أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ
نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ (٥٦) أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي
لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ (٥٧) أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ
(٥٨) بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٥٩) وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي ٱللَّهُ
ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ (٦١) ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيۡءٖ وَكِيلٞ (٦٢) لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ
(٦٣) قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ
لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٦٥) بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ
قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا
يُشۡرِكُونَ (٦٧) وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ
أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ
وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ (٧٠)

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ
رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ
ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ
عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ
مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ
بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[الزمر: ٤٩ – ٧٥].

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد....

حياكم اله أيها الأحباب الكرام في هذا المجلس الرابع من مجالس التفسير لشيخنا حفظه الله، فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد النورستاني فليتفضل حفظه الله.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم. أما بعد...

يقول الله –عزَّ وجلَّ- بعد أن ذكر سوء عاقبة الكفار والمشركين يقول: ﴿**فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ**﴾[**الزمر:٤٩**]، يذكر الله –عزَّ وجلَّ- هنا حالة من الحالات التي هي ظاهرة في الإنسان، وخاصة في الكفار منهم والمشركين منهم، أنه إذا مسه ضرٌّ إذا مسته مصيبة يدعو الله –عزَّ وجلَّ-، ويخلص في لجوئه إلى الله –عزَّ وجلَّ-، ﴿**ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ**﴾[**الزمر:٤٩**]، أي: إذا أعطيناه ﴿**نِعْمَةً مِنَّا**﴾[**الزمر:٤٩**]، النعم كلها من الله –عزَّ وجلَّ-، ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾[**الزمر:٤٩**]، يقول هذا الذي أعطيته وخصصت به، هذا ليس هكذا إنما على علمٍ لأنني اكتسبته بعلم، وكان هذا بجهده وبعلمي بطرق تحصيل هذه النعم هذا تفسيره.

والمعنى الآخر: ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾[الزمر:٤٩]، أي: الله -عزَّ وجلَّ- أعطاني لأنه يعلم ما عندي من العلم والخير العلم معنى الخير، كلاهما فيه نسبة الفضل والشرف إلى نفسه، لا يضيفها إلى الله -عزَّ وجلَّ- ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[الزمر:٤٩].

يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾[الزمر:٤٩] هذا اختبار ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ*قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[الزمر:٤٩، ٥٠]، من قبلك من الكفار والمشركين، والذين لا يشكون إلى الله -عزَّ وجلَّ- أيضًا كانوا يقولون هكذا، كان يقولون أنهم خصوا بهذه النعم ، وبهذه الفضائل؛ لأنهم يستحقونها بجدارة وبعلم خاصٍ بهم ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[الزمر:٥٠]، ما كانوا يكسبون يدخل فيه كل ما يكسبونه، وكل ما يتقنونه، وكل ما يعلمونه، وكل ما يكتسبونه.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾[الزمر:٥١]، السيئات المراد بها هنا جزاء السيئات؛ لأن السيئة هي سيئة وجزاؤها أيضًا مما يسوء الإنسان، ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ﴾[الزمر:٥١]، يعني أولئك كانت هذه حالتهم وحالهم، فأصابهم ما كانوا يستحقونه، طب الآن هؤلاء هل هم مستثنون؟ ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[الزمر:٥١]، ليسوا مما يعجزوا الله -عزَّ وجلَّ-، بما أن أولئك قد أخذوا بما اختلفوا، وأصابهم سيئات ما كسبوا، فهؤلاء أيضًا لا بد أن ينتظروا ما يستحقونه من العذاب وما هم بمعجزين، وهذا فيه تهديد لهؤلاء المشركين.

ثم ذكر الله -عزَّ وجلَّ- دليلًا من أدلة قدرته وربوبيته، وذكرنا أن هذه الأدلة تنوعت في هذه السورة وفي غيرها من السور، في هذه السورة ذكرت أدلة كثيرة منها هذا الدليل ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾[الزمر:٥٢]، سبقت الآيات التي فيها أن التصرف كله لله -عزَّ وجلَّ-، وفي هذه الآية تصرفٌ خاص وفي جانبٍ خاص، أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، هو الذي يحدد، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الزمر:٥٢]، أولئك كانوا يقولون: أنهم بما أن أنه خصوا بالنعم، فهم على منزلة من الله -عزَّ وجلَّ- وعلى وجاهة منهم.

وكما قال قائلهم في سورة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[سبأ:٣٤، ٣٥]، يستدلون بما أعطوا من

النعم، يستدلون بها على أنهم مقربون من الله –عزَّ وجلَّ–، الله –عزَّ وجلَّ– لم يخصهم بهذا إلا؛ لأنهم مرضيون عنده ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ . قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[سبأ:٣٥:٣٦]، بسط الرزق وقبضه، هذا يرجع إلى حكم لله –عزَّ وجلَّ– منها الاختبار والابتلاء، وليس دليلًا على أنك مقربٌ من الله –عزَّ وجلَّ– أبدًا.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾[سبأ:٣٧]، وإلى هذا يشير الله –عزَّ وجلَّ– هنا ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الزمر:٥٢]، الذين يؤمنون هم الذين يفهمون، ويتعلمون، ويعلمون أن هذا اختبار، ولا يجعلونه دليلًا على أنه مقرب من الله –عزَّ وجلَّ– له جاهٌ عند الله –عزَّ وجلَّ– لا.

بعد هذا بعد ذكر أحوال الفرقين، وبعد ذكر بعض شناعتهم، وهنا يدعو الله –عزَّ وجلَّ– جميع عباده، يدعوهم إلى أن يرجعوا إليه ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣]، كما ذكر العلماء هذه الآية أرجى آية في كتاب الله –عزَّ وجلَّ– هذه الآية على الإطلاق، أرجى آية في كتاب الله –عزَّ وجلَّ–.

أولًا: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ﴾[الزمر:٥٣]، هذا التشريف، وهذا التأنيث للجميع، من هؤلاء الذين أسرفوا يشرفهم بهذا النداء يا عبادي؟ ألا ما أنتم عليه من الذنوب أنتم لازلتم عبادي، يعني تكونون عبيد من؟ يعني ستلجؤون إلى من؟ من لكم بعد ما وصلتم إلى ما وصلتم إليه من الشرود والبعد عني؟ إلى أين تتجهون ولازلتم عبادي؟ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾[الزمر:٥٣]،، والإسراف هو الإفراط الذين أسرفوا أي: الذين أكثروا من الذنوب أفرطوا فيها.

﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾[الزمر:٥٣]، رحمت الله –عزَّ وجلَّ– وسعت كل شيء،﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر:٥٣]، ﴿إِنَّ﴾ هذا للتأكيد يغفر ﴿الذُّنُوبَ﴾ الذنوب الألف واللام هنا للاستغراق، لم يستثنِ شيئًا، ما لا يغفر الذنوب أنه يغفر جميع الذنوب، ومع ذلك أكد بقوله: ﴿جَمِيعًا﴾، هذا كله لتأكيد ما في الآية من الدعوة إلى الإنابة إلى الله –عزَّ وجلَّ–، ثم التدليل في الأخير ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣]، من أسمائه أنه الغفور، والغفور مبالغة في الغفران والرحيم، إذًا

أبواب الله -عزَّ وجلَّ- مفتوحة للجميع بلا استثناء، سواء الكفار، وسواء المشركون، المذنبون والمفرطون من المسلمين كلهم.

هذه الآية كما قلنا أجأ آية في كتاب الله -عزَّ وجلَّ-، وهي مقيدة فيما يتعلق بالشرك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]، الشرك لا يغفره الله -عزَّ وجلَّ- إلا بالتوبة، أما بعد الشرك حتى ولو كان قتلًا، وزنًا، وكذبًا، وكله يدخل هنا ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر:٥٣]، مذهب عبد الله بن عباس ﷺ أن القاتل أيضًا حاله حال المشرك، وطبعًا هذا مذهبه وخالفه غيره من الصحابة والتابعين كلهم، وذكر شيخ الإسلام أن مذهبه له وجه خاص قال: الذين عليهم حقوق الآدميين القاتل مثلًا، والسارق مثلًا، عليه حقان: حق الله -عزَّ وجلَّ-، وحق المخلوق، حق الله -عزَّ وجلَّ- الله -عزَّ وجلَّ- يغفره، طيب حق المخلوق، هذا سيرد إليه يوم القيامة.

فلذلك عليه أن يكثر من الحسنات؛ حتى يكثر في رصيده، حتى يزيد في رصيده ما يكون عوضًا لهم ويبقى لهم، وإلا الله -عزَّ وجلَّ- بعد أن غفره بعد أن رحمه، بقي حق المخلوقين عليه، وما يكتسبه يكون لهم، فيكون مصيره إلى النار إلى عمد، فالقاتل إذا لم يكن في رصيده ما يكفي لأداء حق المقتول، هذا لا يمكن أن يتخلص من هذا، ذكر شيخ الإسلام أن هذه الصورة هي التي ينبغي أن نخصص بها كلام ابن عباس -رضي الله عنه- طبعًا هذا كلامه وكلامه وجيه.

المهم هنا أن هذه الآية عامة في جميع الذنوب باستثناء الشرك، والشرك لا يغفره الله -عزَّ وجلَّ- إلا بالتوبة ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]، بقيت الذنوب كلها في مشيئة الله -عزَّ وجلَّ-، وقد رأينا كيف أن الله -عزَّ وجلَّ- يرغبنا ويشجعنا على الإنابة إليه.

ثم يقول: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾[الزمر:٥٤]، ارجعوا إلى ربكم، أنيبوا إليه بقلوبكم، وأسلموا له أي: بجوارحكم، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾[الزمر:٥٤]، لا تقولوا ممكن غدًا، ممكن بعد ما كذا من الذي ضمن لك العمر؟ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾، أيضًا مما يعينكم في الرجوع إلى الله -عزَّ وجلَّ- ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[الزمر:٥٥]، ما الذي يعني هنا؟ القرآن ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[الزمر:٥٥]، قد تفاجأ بالموت بغتة وأنت.

ثم ذكر هنا بعض الأعذار التي قد يتعذر بها هذا الذي فرط، يذكرها هنا الله -عزَّ وجلَّ-؛ ليقيم حجته على عباده ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾[الزمر:٥٦]، سيأتي وقت سيقول هذا ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾، أي: في حق الله -عزَّ وجلَّ-﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[الزمر:٥٦]، كنت هذه كانت حالتي أسخر من الأنبياء، ومن الرسل، ومن الكتب، ومن كل ما يدعوني إلى الله -عزَّ وجلَّ-، كل هذا كنت أنظر إليه بموضع بنظر السخرية.

﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾[الزمر:٥٦]، أي: في حق الله -عزَّ وجلَّ-، والراجح أن الآية ليست من آيات الصفات، كما ذكرها من يريد أن يلزم الشناعات لمذهب أهل السنة والجماعة ذكروا أن الآية فيه إثبات الجنب لله -عزَّ وجلَّ-، وكيف تثبت الجنب لله -عزَّ وجلَّ-؟ ما فرطت في جنب الله معناه في حق الله -عزَّ وجلَّ-، أنت لما تقول: أنا فرطت في جنب فلان، هل حصل له في جنبه شيء، أو شيء يرجع إليك؟ شيء يرجع إليك، لم تودِ حقه فرطت فيه وهكذا، هذا ليس شيء يرجع إلى الله -عزَّ وجلَّ- حتى نقول صفة له، يرجع إلى نفس الإنسان، التفريط يرجع إليه، فليس هناك شيء نثبته لله -عزَّ وجلَّ- له.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[الزمر:٥٧]، يقول هكذا كتب علي، كيف عرفت أن هكذا القرآن كتب عليك؟ كيف عرفت؟ بعد ما تماديت عن الشرك والكفر والمعاصي، بعد ذلك تقول: لو أن هداني، الله -عزَّ وجلَّ- هداك فعلًا أرسل إليك الرسل، وأنزل لك الكتب فهداك هداية الدلالة، ولكنك اخترت هذا الطريق.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الزمر:٥٨]، لو أعطي فرصة أخرى سأكون من المحسنين، يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾[الزمر:٥٩]، الأدلة التي تدل على الحق، توصلك إلى الحق، ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[الزمر:٥٩]، وهذا جزاؤك.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾[الزمر:٦٠]، ترى ﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[الزمر:٦٠]، الذين يكذبون، ويكفرون، ويتكبرون، أليس جهنم هو مثواهم؟ الجواب: بلى، أما من أخذ طريق الهداية ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾[الزمر:٦١]، أي: بفوزهم؛ لأنهم

أخذوا الوسائل التي يفوزون بها بعد توفيق الله -عزَّ وجلَّ-، ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾[الزمر:٦١]، السوء يدخل فيه كل ما ذكر هنا عن الكفار، كل هذا من السوء، لا يمسهم شيء من هذا ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الزمر:٦١].

ثم يذكر الله -عزَّ وجلَّ- في هذه الآية دليلين أيضًا من أدلة قدرته وربوبيته ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر:٦٢]، هذا دليل ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[الزمر:٦٢]، هو الذي يحفظ كل شيء هذا دليل، حفظه لجميع الأشياء، وخلقه لها هذا دليلان من أدلة ربوبية الله -عزَّ وجلَّ-.

دليل آخر ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[الزمر:٦٣]، المقاليد أي: المفاتيح أي مفاتيح خزائن السموات والأرض، بعضهم قالوا: مقاليد مفرده مقلاد مثل المفتاح مفاتيح، وبعضهم قالوا: الجمع هذا ليس له مفردًا من لفظه، ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، هذا أيضًا من أدلة ربوبيته ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[الزمر:٦٣].

بعد هذه الأدلة يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾[الزمر:٦٤]، كل من يدعو إلى عبادة غير الله -عزَّ وجلَّ- بأي اسم من الأسماء، باي تبرير من التبريرات هذا جاهل، أقل ما يقال فيه أنه جاهل، أيها الجاهلون كل من يصرف عن التوحيد عن أدلة التوحيد، ويصرف الناس عن التوحيد، ويدعوهم إلى الشرك هذا جاهل.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾، مما يدل على جهلكم ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[الزمر:٦٥]، يعني أوحي إلى من؟ إلى من يوحى؟ إلى الرسل والأنبياء، أوحي لهم وقيل لهم ماذا؟ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر:٦٥]، يعني حتى أعمال الرسل والأنبياء، حتى هذه يحبطها الشرك فكيف بأموال غيرهم؟ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾، هذا الخطاب لمن؟ للنبي ﷺ، وللرسل قبله ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، وهؤلاء المبتدعة أحدهم عمله راسخ مثل الجبال، أي لا يمسه شيء ولا غرور.

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾، طبعًا النبي ﷺ، وكذلك الأنبياء والرسل، معصومون عن الكبائر عمومًا، وعن الشرك خصوصًا، أهذا ذكر للفرد، حتى أنتم لو وقعتم في شرك ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر:٦٥]، ولتكونن هذه كلها تأكيدات من الخاسرين

﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾[الزمر:٦٦]، قدم اسم الجلالة؛ لبيان التخصيص والقصر ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[الزمر:٦٦]؛ لأن شكر الله عزَّ وجلَّ- على نعمه يكون بتوحيده، وبإفراده للعبادة، هذا هو الشكر هكذا يكون الشكر.

ثم ذكر الله -عزَّ وجلَّ- شناعة ما عليه الكفار والمشركون، كيف أنهم يسوون غير الله -عزَّ وجلَّ- به، والحال عظمته بهذا الشكل، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ﴾[الزمر:٦٧]، أي: ما عظموه ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾[الزمر:٦٧] أي: حق تعظيمه، المشركون لما أشركوا مع الله -عزَّ وجلَّ- هل عظموه؟ وهم يقولون نحن ما ليس لنا سبيل إلى الله -عزَّ وجلّ- إلا عن طريق (٣٠:٤١) أنت الآن بشركك مع الله -عزَّ وجلَّ- وبتسويتك مع المخلوقين من الملوك، أنت الآن تستخف بمقامه وما قدروا الله حق قدره.

والحال أن الله -عزَّ وجلَّ- ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ﴾[الزمر:٦٧]، السموات كلها ﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[الزمر:٦٧]، سبحان الله كيف نتصور هذا؟ لا يمكن أن نتصور هذا، السموات كلها مطويات بيمينه، ﴿سُبْحَانَهُ﴾[الزمر:٦٧]، أي: تنزه سبحانه ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر:٦٧]، كل ما ينسبونه إلى الله -عزَّ وجلَّ- وهو منزه عن ذلك، والله -عزَّ وجلَّ- حقه كما في حديث معاذ أن يفرد بالعبادة، ما حق الله على العباد؟ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، الله -عزَّ وجلَّ- لما يرد عليهم ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[الزمر:٦٧]، وإذا أردت ان تعظمه حق تعظيمه أو كما ينبغي أفرده للعبادة، لا تصرف شيئًا من أنواع العبادات لغير الله -عزَّ وجلَّ-.

﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾[الزمر:٦٧]، هنا إثبات القبضة والطي واليمين، وهذا كله ثابتٌ لله -عزَّ وجلَّ-، ومن الغريب أن المبتدعة يؤولون هنا حتى في المواضع التي أثبتها الله -عزَّ وجلَّ- متمدحٌ بها، المواضع التي يتمدح الله -عزَّ وجلَّ- بها، حتى هنا يسلطون أيش؟ التأويل، كما في سورة طه ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى . تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى . الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٢:٣:٤:٥]، ذكره في سياق التمدح مع ذلك هنا يأتي المؤول ويؤول؛ لعلي ذكرت لكم في موضوع المجاز، أن أشير بإشارة مختصرةٍ؛ الزمخشري هنا يقول: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ ليست هناك قبضة ولا طي ولا يمين ولا شمال، إنما هذه إشارة إلى عظمة الله -عزَّ وجلَّ-؛ بغض النظر إلى الألفاظ، الألفاظ يقول: هذه لا ننظر إليها أصلًا؛، الله -عزَّ وجلَّ- أنزلها

والزمخشري لا يريد أن ننظر إليها. يقول: نأخذ الزبدة! المتأخرون من البلاغيين أخذوا منها الكناية الزبدية، طبعًا هؤلاء هم المسيطرون في علم البلاغة، الكناية الزبدية أخذوها من كلام الزمخشري في هذه الآية، الكناية الزبدية، رجعت إلى المفسرين المتكلمين منهم سبحان الله يعني بعد الزمخشري عند هذه الآية، ارجعوا إلى التفاسير إلى يومك هذا، تجدهم ينقلون من الزمخشري إما بشيء من التغيير، أو من النسخ، أو كلام الزمخشري في هذه الآية، حتى المجاز يرد عليه يقول: لا نريد المجاز؛ لأن المجاز فيه احترام للفظ، اللفظ هو المحور في المجاز، صاحب المجاز يدعي أن اللفظ له دلالتان حقيقية ومجازية، بما أن الحقيقية مستحيلة هنا، فأصرف هذا اللفظ إلى معناه المجازي، فإذًا المحور هو اللفظ، شيء من الاحترام للفظ.

الزمخشري يقول: لا. هنا نسلك مسلك التخييل، التخييل وهذا لا يجعل للفظ محورًا، إنما الجملة كلها تأخذ منها زبدة معينة كيف تأخذ منها زبدة معينة بدون النظر إلى الألفاظ؟ المهم هكذا أهل البدع حتى في الآيات التي يتمدح الله -عزَّ وجلَّ- بها، حتى في هذه المواضع يسلطون التأويل والله المستعان.

ثم ذكر الله -عزَّ وجلَّ- ما يكون يوم القيامة فيه البعث، وما قبل البعث، هذا كله فيه تخويف وتهديد للكفار، وفيه أيضًا بيان لهذه الحقائق ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾[الزمر:٦٨]، الصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾[الزمر:٦٨]، هذه النفخة هي النفخة الأولى على قول جمهور المفسرين، ذكر شيخ الإسلام أن هذه هي النفخة الثانية، وأن ما ورد في سورة النمل هي النفخة الأولى، وهذه النفخة الثانية هكذا يقول شيخ الإسلام، جماهير المفسرين على أن هذه هي النفخة الأولى، وأن هناك نفختان لا ثالث لهم.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ﴾[الزمر:٦٨]، فصعق أي: مات ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾[الزمر:٦٨]، من الذي استثني هنا؟ الأقوال في ذلك كثيرة:

منها: أن المستثنون هم الملائكة.

منها: أن المستثنون هم جبريل وإسرافيل وميكائيل.

ومنها: أن المستثنون الحور العين وما في الجنة من نعيم، وكذلك ما في جهنم من أنواع والله أعلم، يعني ليس هناك جزم في...

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾[الزمر:٦٨]، هذه النفخة الثانية ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[الزمر:٦٨]، ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[الزمر:٦٩]، هذا فيه إخبار عن الحالة التي ينزل الله –عزَّ وجلَّ– فيها لفصل القضاء، طبعًا ليس هناك قمر ولا شمس، فالنور الذي سيكون هناك هو نور الله –عزَّ وجلَّ– ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾[الزمر:٦٩]، الشهداء هؤلاء هم الأنبياء والرسل، وكذلك غيرهم مما يشهدون، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[الزمر:٦٩:٧٠]، الله –عزَّ وجلَّ– يعني أحصى على الجميع أعمالهم، وهو أعلم بما يفعلون.

ثم ذكر الله –عزَّ وجلَّ– كيف يساق الكفار إلى مصيرهم؟ وكيف يساق المؤمنون إلى مصيرهم؟ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[الزمر:٧١]، زمرًا أي: جماعات جماعات، زمرًا أي: جماعات جماعات، الكفار مع أنهم الكفر كما يقول النبي ﷺ ملة واحدة، ولكن بينهم من الخلاف ما لا يعلمه إلا الله –عزَّ وجلَّ–، فسيساقون جماعات جماعات، حسب ما تجمعهم من الأقدار، كما سيكون هكذا في المؤمنين ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[الزمر:٧١]، إلى أن يصلوا إلى جهنم، ستكون الأبواب مغلقة، لما يصلون سيفاجؤون بفتح أبواب جهنم ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾؛ لأن سوقهم بهذا الشكل ومنظر فتح باب جهنم، وكذلك وقت دخولهم، هذا كله أنواع من النكال، ولذلك أشير إليها بهذا التفصيل، مما لا نجده عند المؤمنين كما سيأتي.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾[الزمر:٧١]، هذا من باب التبكيت، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾، يعني منكم ممن تعرفونهم، وتتفاهمون معهم ﴿مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ﴾[الزمر:٧١]، ماذا سيقولون؟ ﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾[الزمر:٧١]، بدل أن يقولوا علينا على الكافرين قلنا نستحق هذا؛ لأننا كنا كفار.

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾[الزمر:٧٢]، قيل القائل لم يذكر هنا؛ لأن كل من يراهم يبشرهم بهذا المصير، ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[الزمر:٧٢]، طبعًا عذابهم يستحقونه للكفر، وهذا الإذلال يستحقونه للتكبر، ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾، هذا الإذلال لتكبرهم كانوا يتكبرون على عباد الله –عزَّ وجلَّ–، نسأل الله ألا نكون منهم.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[الزمر:٧٣]، زمرًا أيضًا جماعات جماعات، ذكر المفسرون أن هذه الجماعات ستكون حسب اتفاقهم في جانب مثلًا الدعاة إلى الله –عزَّ وجلَّ- الذين تغلب عليهم الدعوة إلى الله –عزَّ وجلَّ- جماعة طلاب علم، جماعة الذين كانوا يجتمعون على خير معين، جماعة وهكذا، كما كانوا في الدنيا يطلبون رضى الله –عزَّ وجلَّ- جماعات الجماعات، ويتعاونون هكذا سيسرون هناك بالاجتماع حتى في حال ذهابهم إلى الجنة، ونسأل الله أن يجعل مثل هذه الاجتماعات سببًا لمثل هذه النعيم.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[الزمر:٧٣]، لاحظوا أن لما ذكر في لما ذكر حال الكفار هناك ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ﴾[الزمر:٧٣]، ذكر الجزاء هناك، أما هنا لم يذكر ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[الزمر:٧٣]، طيب أين الجواب؟ لم يذكر؛ لأن هذا الجواب قد حذف من هذا الحال من هذه الحال، أي لهم السعادة وأي سعادة لهم، ما الذي ينتظرونه غير هذا؟

﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[الزمر:٧٣]، يعني أبوابهم ستكون مفتوحة، كما قلت لكم هناك فتح الأبواب بالنسبة لهم هذه أيضًا عقوبة، وهذا يعرفها من شاف يعني السجون كيف تفتح الأبواب؟ وكيف يعذب السجين حتى يعني بطريقة معينة لفتح الأبواب، وطريقة معينة لغلق الأبواب، يعني نسأل الله أن يحمينا ويحفظنا من جميع الشرور، ويسعدنا في الدارين.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾[الزمر:٧٣]، هكذا سيستقبلون، هذا حفل استقبالهم هناك سلام عليكم، طبعًا في الجنة الله –عزَّ وجلَّ- سيسلم عليهم ﴿سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[يس:٥٨]، ﴿طِبْتُمْ﴾، أي: طابت آمالكم فطابت حالتكم هنا طبتم، ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾، ما الذي سيقولونه؟ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[الزمر:٧٤]، الحمد لله هذا شعار المؤمن الحمد لله، هذا شعار المؤمن دائمًا الحمد لله، جميع صفات الكمال لله –عزَّ وجلَّ-، ما نحن فيه من النعم من الله –عزَّ وجلَّ-، نحمد الله –عزَّ وجلَّ- على جميع النعم والحمد لله على كل حال.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ﴾[الزمر:٧٤]، الأرض هذه هي الجنة، يقولون: أورثنا الميراث هل لك كسبٌ فيه؟ تتعب لا يجيك ...وهكذا هذه الجنة بعرضها بطوله

وعرضها هل هي جزاء لأعمالهم مقابلة لهذا بهذا؟ ميراث ﴿وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[الزمر:٧٤]، لأنهم عملوا.

﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾[الزمر:٧٥]، هذا منظر من مناظر ذلك اليوم، ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾[الزمر:٧٥]، سئل الإمام أحمد هل الله -عزَّ وجلَّ- له حد؟ قال: نعم حد لا نعلمه وذكر هذه الآية، هؤلاء الملائكة سيكونون حافين من حول العرش، أما الكفية ما نعلمها، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[الزمر:٧٥]، يجمعون بين الأمرين التسبيح وهذا فيه تنزيه، كيف يسبحونه؟ بإثبات صفات كماله ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[الزمر:٧٥]، والتسبيح هو التحميد دائمًا يذكران؛ لأن كما قلنا مرارًا هذا باب الأسماء والصفات، باب الأسماء والصفات يتخلص في التسبيح والتحميد، تنزيه الله -عزَّ وجلَّ- عن جميع النقائص، وهذا هو النفي إثبات جميع صفات الكمال لله -عزَّ وجلَّ- وهذا باب الإثبات، ﴿وقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الزمر:٧٥].

ونسأل الله أن يرحمنا ويلطف بنا، ويتقبل منا هذا العمل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقدم: جزى الله شيخنا خير الجزاء على ما قال، ونسأل الله (٤٧:١٥) في ميزان حسناته، ونحمد الله -سبحانه وتعالى- أن أعاننا على إنهاء هذا البرنامج الذي قضيناه مع كتاب الله -سبحانه وتعالى-، نفهم معانيه ونتدبر ألفاظه، ونتقدم بالشكر لمشايخنا الفضلاء على بذلهم هذه الأوقات؛ حتى ينبرون لنا الطريق، ويبينون لنا ما في كتاب الله -سبحانه وتعالى- من الفوائد ومن العبر، والشكر موصول للأخوين فيصل حسن الشملي -حفظه الله-، والأخ علاء أبي عبد الرحمن على ما قاوموا به من جهود واضحة مشكورة.

ولا يزال الشكر موصول لأبنائنا أبناء الشيخ النورستاني -حفظه الله-، وأبناء الشيخ سيد حبيب، وعبد الله، وبندر، وفهد العصـ (٤٨:١٢) -حفظهم الله-، نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يبارك في أوقاتهم، وأن يبارك في أعمالهم، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يبارك لأبي بندر في بيته وفي ذريته، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته، ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يعيننا على إكمال هذه البرامج سنوات عديدة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.